جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

النقض البلاغي لمطاعن المستشرقين حول السجع في القرآن الكريم

الدكتور

شعبان محمد علي كفافي

أستاذ البلاغة والنقد المساعد
في كليــة اللغـة العربيـة بالزقازيــق

العدد التاسع عشر
للعام ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م
الجزء السادس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٥م
الترقيم الدولى ISSN 2356-9050

مقدمة

الحمد لله الذي حفظ كتابه المجيد من افتراءات المشركين، ومطاعن المستشرقين، والصلاة والسلام على المعصوم سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وصحبه أجمعين..

أما بعد،،،

فلقد تعددت افتراءات أعداء الإسلام وتنوعت حول كتاب الله – عز وجل – ومن ثم لم يتركوا طريقا للهدم والتشكيك في القرآن الكريم إلا تفننوا فيه وسلكوه: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ التوبة: ٣٢.

ومن مظاهر هذه الافتراءات وتلك الطعون قضية السجع في القرآن الكريم، وسوف نرى من خلال هذا البحث كيف تعددت صورها وتنوعت.

فقد ذهب بعض المستشرقين، ومنهم " كارل بروكلمان" إلى تحديد مصطلح السجع ، وقصره على سجع الكهان، ليصل بذلك إلى القول بأن السجع في القرآن هو امتداد لسجع الكهان، فقال: والسجع هو القالب الذي كان يصوغ العرافون والكهنة فيه كلامهم وأقوالهم، كما جاء في القرآن.

ولم يكتف بذلك، فادعى زورا وبهتانا أن الرسول الكريم استخدم في دعوته أساليب الكهان، وأن لغته أخذت طابع سجع الكهان [١].

وقد سار "كارل بروكلمان" في هذا الصدد على درب أستاذه " جولدزيهر"، حيث سبقه بهذا في قوله : " لقد كانت السور الأولى في النزول على الشكل الذي تعود الكهان القدماء وضع نبواتهم فيه، ولو جاء في شكل آخر لما رضي أي

---

(١) تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ١ / ٥٧ – ١٠٧ – ١٣٤ ترجمة د. عبد الحليم النجار ، الطبعة الثالثة، دار المعارف بالقاهرة.

عربي أن يرى فيه قرآنا موحى من الله" ، ثم انتقل " جولد زيهر" إلى مطعن آخر في قوله: " وأنه ما أعظم الفارق بين سجع السور المكية ، وسجع السور المدنية"(١)، وقد أسس هذا المطعن على مطعن آخر ، وهو ضعف بلاغة القرآن المدني، حيث قال : "وبديهي أن التغير الذي حدث في الطابع النبوي لمحمد ، قد أثر في أسلوب القرآن ، وشكله الأدبي.

والبحث النقدي والبلاغي للقرآن يبرر هذا التمييز التاريخي بوجه عام، ففي العصر المكي جاءت المواعظ التي قدم فيها محمد الصور التي أوحتها إليه حميته الملتهبة، في شكل وهمي ، خيالي ، حاد ، تلقائي ، ذاتي.

لكن حمية النبوة وحدتها أخذت في عظات المدينة ، والوحي الذي جاء بها ، تهدأ رويدا؛ حيث أخذت البلاغة في هذا الوحي تصبح ضعيفة شاحبة، كما أخذ الموحي نفسه ينزل إلى مستوى أقل ، بحكم ما كان يعالجه من موضوعات ومسائل، حتى لقد صار أحياناً في مستوى النثر العادي... (٢)

ثم تتطوروا بهذا المطعن، وهذه الفرية؛ فوصفوا القرآن بأنه كتب مسجوعا من أوله إلى آخره ، يقول " ريكولدوس دي سانتا كروس"(٣) عن لغة القرآن:

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ، تأليف ايجناس جولد زيهر ص ٢٢ ، ترجمة : محمود يوسف موسى وآخرون ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) السابق ٢١.

(٣) ريكولدوس دي سانتا كروس، هو راهب دومنيكي ومبشر، عنيف الخصومة ضد الإسلام، ولد حوالي ١٢٤٣ في فيرنته وتوفي ١٣٢٠. زار فلسطين وأرمينية الصغرى والعراق ، كان يدعو إلى الانضمام إلى الكنيسة الكاثولوكية في روما، أقام عشر سنوات في الموصل وبغداد. له كتاب بعنوان: الجدال ضد المسلمين والقرآن. : ضد قرآن محمد. وله كتاب عن أسفاره في الشرق . بنظر. موسوعة المستشرقين/ د. عبد الرحمن بدوى صـ٣٠٦ – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٩٩٣.

"فأما كون أسلوبه إيقاعا مسجوعا من أول الكتاب إلى آخره ، فأمر بيِّن لقرائه ..." (١)

ويقول المستشرق الألماني "بارت رودي": (٢) : " إن القرآن كتب مسجوعا من أوله إلى آخره"(٣)

وبهذا يتضح لكل ذي لب أهداف المستشرقين ، ومخططاتهم للنيل من بلاغة القرآن الكريم وإعجازه.

وبعد اطلاعي على هذه المطاعن عقدت العزم على أن أذود عن حياض كتاب الله عز وجل؛ فجاء هذا البحث بعنوان: " النقض البلاغي لمطاعن المستشرقين حول السجع في القرآن الكريم" .

---

(١) كتاب حضارة الإسلام – جوستاف فون جرونيباوم صـ ١٣٢/١٣١ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد – مراجعة – عبد الحميد العبادى طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠١٤.

(٢) هو مستشرق ألماني ولد في أبريل ١٩٠١ وتوفي سنة ١٩٨٢ دخل جامعة توبنجن ، وتتلمذ في الدراسات العربية، وحصل على الدكتوراه الأولى سنة ١٩٢٤، ثم حصل توبنجن على دكتوراه التأهيل للتدريس في الجامعة سنة ١٩٢٦، وعين في قسم الدراسات الشرقية في جامعة توبنجن ، وفي ١٩٤١م شغل كرسى علوم الإسلام والساميات في جامعة بوتن، و ١٩٥١ عين أستاذا للساميات والإسلاميات في جامعة توبنجن.

نتاجه العلمي: ترجم القرآن إلى اللغة الألمانية. كتب رسائل صغيرة عن القرآن بعنوان :محمد والقرآن الإسلام والتراث الثقافي اليوناني.

ينظر : موسوعة المستشرقين د. عبد الرحمن بدوي ص ٦٢-٦٣ دا العلم للملايين – بيروت – الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٣.

(٣) فصول مجلة النقد الأدبي – المجلد الثاني عشر، العدد الثالث ص١١ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٣ ، والسجع في القرآن ــ ديفين ج .ستيوارث ــ ترجمة ودراسة د/إبراهيم عوض صـ٢٠ ــ شركة الأهرام للدعاية والنشر ــ الطبعة الثانية ١٩٩٥م .

ويتكون هذا البحث من مقدمة وثلاثة مباحث .

فالمقدمة أوضحت فيها أهمية الموضوع ، وسبب اختياره، وخطته، ومنهجه.

أما **المبحث الأول** : فيتضمن المطعن الأول : النقض البلاغي لكون السجع في القرآن الكريم من جنس سجع الكهان .

والمبحث الثاني : يتضمن المطعن الثاني: النقض البلاغي لكون القرآن كله مسجوعا من أوله إلى آخره .

والمبحث الثالث : يتضمن المطعن الثالث : النقض البلاغي للتفاوت البلاغي بين سجع السور المكية ، وبين سجع السور المدنية .

وتأتي **الخاتمة** بأهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

وأخيرا **الفهارس** .

وأما منهج البحث ، فهو المنهج الوصفي ، والاستنباطي ، والاستدلالي .

والخطوات الإجرائية في إنجاز منهج البحث على النحو الآتي:

١-تصدير الحديث بنص المطعن .

٢-تفنيد المطعن والرد عليه من خلال ما يأتي : ــ

أ- الأدلة العقلية.

ب- الاستدلال بأقوال المنصفين من المستشرقين.

ج- الاستدلال بالدليل النقلي.

د- الاستشهاد بأقوال أهل العلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د. شعبان محمد علي كفافي

الأستاذ المساعد في كلية اللغة العربية بالزقازيق

المبحث الأول
النقض البلاغي لكون السجع في القرآن من جنس سجع الكهان

المبحث الأول

النقض البلاغي لكون السجع في القرآن من جنس سجع الكهان

نص المطعن :-

يقول "كارل بروكلمان": ــ

" والسجع هو القالب الذي كان يصوغ العرافون والكهنة فيه كلامهم وأقوالهم، كما جاء في القرآن"(١)

ويقول في موضع آخر: (٢)

"واستخدم محمد في دعوته أساليب الكاهن، كما عزا ــ على غراره ــ أحوال غيبوبته ، وما يصدر في هذه الأحوال من تصريحاته إلى رفيق ذكر فيما بعد أنه الملك جبريل، واعتقد أنه رسول الله ،

ويقول (٣) : "كان النبي "صلى الله عليه وسلم" في أقدم مراحل دعوته الدينية يطلق ما يدور بخلده ، وهو صادق الاستغراق والغيبوبة في جمل مؤثرة يغلب عليها التقطع والإيجاز ، وتأخذ طابع سجع الكهان، واحتفظ النبي – أيضاً– بهذا القالب الكلامي .

---

(١) تاريخ الأدب العربي– كارل بروكلمان جـ ١ . صـ ٥١ . ترجمة د. عبد الحليم النجار. الطبعة الثالثة – دار المعارف بالقاهرة ــ ١٩٧٤ م .

(٢) السابق حـ١ صـ ١٣٤.

(٣) السابق حـ٢ صـ ١٠٧

الرد على المطعن الأول : -

نلحظ في كلام المستشرق "بروكلمان" أنه حدد السجع وعرفه : "بأنه القالب الذي يصوغ العرافون والكهنة فيه كلامهم وأقوالهم كما جاء في القرآن".

ففي هذا النص مطعنان عظيمان ، يريد هذا المستشرق من خلالهما الوصول إلى أمر خطير؛ ألا وهو أن السجع في القرآن الكريم امتداد لسجع الكهان، ومن ثم يصل إلى طلبته ومنيته، وهي الطعن في إعجاز القرآن .

المطعن الأول: تحديده لمصطلح السجع وقصره على كلام العرافين والكهنة، فكأن سجع الكهان هو الأصل الذي استقي منه العرب سجعهم، وهو الأصل الذي يقاس عليه – بحسب زعمه الباطل، – وسوف أفند هذا الكلام، وأبطله بعد قليل.

أما **المطعن الثاني** : في هذا النص ــ فهو مطعن خبيث ــ يريد من خلاله تأكيد الصلة بين سجع الكهان ، وسجع القرآن، ويؤصل لمطعنه الباطل ، وهو أن سجع القرآن امتداد السجع الكهان.

وسوف أعرض في الرد على المطعن الأول لعدة أمور هي:-

أولاً : تعريف السجع عند علماء الغرب، لنصل إلى الفضل الذي شهد به الأعداء، وهو أبلغ رد عليه.

ثانياً : تعريف السجع في لغة العرب الذي نزل القرآن بلغتهم.

ثالثاً : تعريف السجع في اصطلاح البلاغيين، ومن ثم تكون الانطلاقة الصحيحة منهجيا، وعلمياً، وفق أصول البحث العلمي.

رابعاً : إلقاء الضوء على سجع الكهان، وبيان خصائصه.

أولاً: تعريف السجع عند علماء الغرب :

يقول المستشرق "ديفين ستيوارت"(١):-

"ترجم الدارسون الغربيون مصطلح "السجع" بعبارة نثر مقفى، أو نثر ذو قواف ... وقد أدخل "بلاشير"(٢) تحسينا على ترجمة مصطلح السجع؛ فجعلها النثر المقفى ذو الإيقاع، فقدم بذلك أفضل تعريف للسجع حتى الآن، ربما نتيجة لدراساته في القرآن.

ويواصل "ديفين ستيوارت حديثه عن ماهية السجع قائلا:

وبرغم النظر إلى السجع بوصفه أحد فروع النثر، فإنه في حقيقة الأمر نوع متميز من الكتابة، فهو يتميز عن النثر المرسل، وعن الشعر المنظوم. إنه يتألف من عبارات مقفاة اصطلح على تسميتها سجعات، وتختلف قواعد القافية عنها في الشعر(٣).

والمهم عندي أن "بلاشير"، و"ديفين ستيورات" لم يربط أحد منهما تعريف السجع بسجع الكهان، كما فعل "بروكلمان".

---

(١) ولد ديفين ستيوارت في مايو ١٩٨٣م. اسكتلندا، وهو أستاذ الدراسات العربية والأدبية بجامعة امورو "Emorw "، كولومبيا. شبكة المعلومات.

(٢) ولد بلاشير في فرنسا ١٩٠٠م. حصل على الدكتوراه من جامعة باريس ١٩٣٦م، وترجم معاني القرآن إلى الفرنسية، وتوفي ١٩٧٣م. ينظر: موسوعة المستشرقين ــ د. عبد الرحمن بدوي ص١٢٧ ــ دار العلم بالملايين ــ بيروت . الطبعة الثالثة ١٩٩٣ م .

(٣) ينظر: السجع في القرآن ديفين ستيوارت. ترجمة وتعليق د. إبراهيم عوض صـ٩، ٣٣ ، ٣٤. شركة الأهرام للدعاية والنشر. الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ ــ ١٩٩٥، وفصول مجلة النقد الأدبي صـ١٤، ٣٠- الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الثاني عشر- العدد الثالث ١٩٩٣.

ويعرف الدكتور "ج. هيوارث دن" السجع بقوله :

"وهو التزام التقفية وتساوي الفواصل من كل فقرتين، أو أكثر، كما في خطبة قس بن ساعدة، والمأمور الحارثي"(١)

وما قاله الدكتور "ج هيوارث دن" أبلغ رد على "بروكلمان" ومن سايره، ولعل من يقرأ هذا البحث من أتباعهم يعود إلى صوابه ورشده ، ويدرك مدى الجناية التي ارتكبها أساتذتهم من خداع ، وتدليس على القاريء الغربي ، ومن شايعهم.

ثانياً: تعريف السجع في لغة العرب :

وبعد أن ذكرنا طرفا من تعريف السجع عند الغربيين، وتبين لنا عدم ربطهم تعريف السجع بسجع الكهان، ننتقل إلى المعاجم العربية لتعرف السجع في لغة العرب.

يقول ابن منظور في معجم لسان العرب :

سجع يسجع سجعا : استوى واستقام، وأشبه بعضه بعضا، وأصل السجع: القصد المستوى على نسق واحد.

والسجع: الكلام المقفى، والجمع أسجاع وأساجيع، وكلام مسجع، وسجع يسجع سجعا، وسجع تسجيعا: تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن.

وصاحبه سجاعة، وهو من الاستواء ، والاستقامة ، والاشتباه، كأن كل كلمة تشبه صاحبتها.

ونقل عن ابن جني قوله : سمي سجعا ؛لاشتباه أواخره وتناسب فواصله.

وسجع الحمام يسجع سجعا: هدل على جهة واحدة.

وفي المثل: لا آتيك ما سجع الحمام.

---

(١) الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي – للدكتور. ج هيوارث دن صـ ٨٣ مكتبة الثقافة العربية.

وسجع الحمام: موالاة صوتها على طريق واحد، تقول العرب: سجعت الحمامة إذا دعت وطربت في صوتها، وسجعت الناقة سجعا: مدت حنينها على جهة واحدة كأنها تحن حنينا متشابها، وكله من الاستواء والاستقامة والاشتباه.(١)

وفي القاموس المحيط :

السجع: الكلام المقفى، أو موالاة الكلام على روي واحد، نطق بكلام له فواصل فهو سجاعة وساجع، والحمامة رددت صوتها فهي ساجعة وسجوع، وسجع ذلك السجع قصد ذلك المقصد، والساجع:القاصد في الكلام وغيره، والناقة المطربة في حنينها، والوجه المعتدل الحسن الخلقة(٢).

ويقول ابن فارس في مقاييس اللغة :

السين، والجيم، والعين، أصل يدل على صوت متوازن، ويقال: سجعت الحمامة: إذ اهدرت(٣).

وفي الاصطلاح: الكلام المقفي، وسجع تسجيعا: تكلم بكلام له فواصل، كفواصل الشعر من غير وزن، وصاحبه سجاعة، وهو من الاستواء.

مما سبق يتضح لنا أن المعاجم العربية جمعت بين المعنى اللغوي، والاصلاحي للسجع.

فالكلام المقفى على روي واحد يشبه هديل الحمام، وهو موالاة صوتها على طريق واحد، وعلى جهة واحدة، ويشبه كذلك حنين الناقة الذي يكون على جهة واحدة، وفيه معنى الاستواء والاستقامة في الطريقة.

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة سجع. الناشر: دار المعارف .القاهرة .

(٢) القاموس المحيط للفيروزآبادى مادة سجع. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي . الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان .الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس مادة :سجع. تحقيق: عبد السلام محمد هارون .الناشر: دار الفكر.عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

والسؤال الآن:

نوجهه للمستشرق" كارل بروكلمان ولمن سايره: أليس من مقتضيات البحث العلمي أن يكون الباحث على دارية باللغة التي يبحث فيها ؟، وهل غابت عنك معاجم اللغة العربية؟

ماذا لو سألك طلابك هذا السؤال؟ فكيف ترد عليهم ، وأنت تلقنهم أصول البحث العلمي، ومنها الأمانة العلمية ، والموضوعية ، والحيادية.

هل ستكذب عليهم قائلاً: لا يوجد تعريف للسجع في لغة العرب، ولا في مصادر بلاغتها، سوى ما سطرته لكم وهو سجع الكهان ، أو ستقول لهم حقيقة ما بنفسك وهي: إنني أريد أن أشكك المسلمين في قرآنهم ، وأنال منهم من خلال الطعن في كتابهم المقدس؟ وكلنا يعرف علاقة بروكلمان باللغة العربية، وكتاباته في الأدب العربي معروفة، ومن ثم يتأكد لنا عدم جهله بمصادر العربية.

ثالثاً: مصطلح السجع عند البلاغيين[١] :

إذا انتقلنا إلى مصطلح السجع في مصادر البلاغة العربية؛ فإننا نجد الخطيب القزويني يعرف السجع بقوله: هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، ويزيد ابن يعقوب المغربي هذا التعريف وضوحا بقوله: أي توافق الفاصلتين، وهما الكلمتان اللتان في آخر الفقرتين من النثر، بمنزلة القافتين في البيتين على حرف واحد : أي توافق الفاصلتين في كونهما على حرف واحد في آخر كل منهما.

وكان من الواجب على "كارل بروكلمان" الاطلاع على مصادر البلاغة العربية؛ ليستقي منها تعريف السجع، كما يقتضيه أصول البحث العلمي.

وإذا كان قد اطلع على المصادر البلاغية وأخفى هذه الحقيقة؛ فنقول له ولأمثاله : أين الأمانة العلمية ؟، وأين الموضوعية والحيادية؟، ولماذا أخفيتم هذه الحقيقة الواضحة؟

وبعد أن عرفنا السجع عند الغربيين، وتبين لنا أنه لا علاقة لهذا المصطلح عندهم بسجع الكهان، وذكرنا السجع في المعاجم العربية، ثم ختمنا الحديث عنه في مصطلح البلاغيين؛ تبين لنا بالدليل القاطع، والبرهان الساطع لكل من ساير المستشرقين من الغرب والشرق أن ما قاله "كارل بروكلمان"، غير صحيح ومجاف للحقيقة تماما، وأن تحديده لمصطلح السجع، وقصره على كلام العرافين والكهنة هو محض كذب وافتراء، ويحمل في طياته سموما وأفكارا هدامة مفادها: أنه لا سجع إلا سجع الكهان، وأن السجع الموجود في القرآن هو من جنس سجع الكهان.

---

(١) شروح التلخيص حـ ٤ صـ٤٤٥ – دار الإرشاد الإسلامي – بيروت وينظر المطول لسعد الدين التفتازاني صـ ٤٥٣ . مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ ، والأطول للعصام حـ٢ صـ٢٣٢ المطبعة العامرية ١٢٨٤هـ .

كل ذلك له غرض خسيس، وهو النيل والطعن في إعجاز القرآن، وإحداث البلبلة والشك في نفوس المسلمين نحو كتابهم المعجز الخالد.

ولما كان " كارل بروكلمان" قد قصر السجع – زورا وبهتانا – على كلام الكهان والعرافين، وأن ما في القرآن من سجع، هو من قبيل هذا السجع وهو امتداد له؛ فإن الحديث عن سجع الكهان، وبيان خصائصه وغاياته، بات من الأهمية بمكان، حتى تبرز الحقيقة واضحة جلية، لا لبس فيها ولا غموض، ويكون الرد على مثل هذه المطاعن شافيا كافيا، وهذا ما تكشف عنه الصفحات الآتية.

إطلالة على سجع الكهان:

عندما نتعرف صور النثر في العصر الجاهلي، نجد سجع الكهان من بينها، بجانب القصص ، والخطابة ، والأمثال ، والحكم ، والوصايا.

فلقد كان للكهان منزلة كبيرة في حياة الجاهليين وصلت إلى حد القداسة الدينية، وكان أكثر الجاهليين يتحاكمون إليهم في منازعاتهم، ويهرعون إليهم في كل حاجاتهم؛ نظرا لما وقر في نفوسهم ، أن هؤلاء الكهنة يعرفون الغيب، ومن ثم لديهم استشراف المستقبل ؛ وهذا ما جعل العرب في الجاهلية يقصدونهم من كل حدب وصوب ؛ لاعتقادهم أن هؤلاء الكهنة يوحى إليهم ، وأنهم مهبط الإلهام عن طريق الجن.

وقد ذكر الجاحظ طرفا من أخبارهم، وبعضا من نماذجهم ، فيقول عنهم: إن كهان العرب الذين كان أكثر الجاهلية يتحاكمون إليهم، وكانوا يدعون الكهانة ، وأن مع كل واحد منهم رئيا من الجن مثل: حازي جهينة، ومثل: شق وسطيح، وعزى سلمه، وأشباههم، وكانوا يتكهنون ويحكمون بالأسجاع"[1] .

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون حـ٢ صـ ٢٠٥ / ٢٠٦ / ٢٤٧– مكتبة ابن سينا بالقاهرة طبعة ٢٠١٠.

ويؤكد النويري كلام الجاحظ ويفصله بقوله: وكانت كهنة العرب لهم أتباع من الشياطين يسترقون السمع، ويأتونهم بالأخبار، فيلقونها لمن يتبعهم ويسألهم عن خفيات الأمور، حتى جاء الإسلام فمنعت الشياطين من استراق السمع، كما أخبر الله تعالى عنهم في كتابه العزيز :

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ الجن:٩، فعند ذلك انقطعت الكهانة فلم يسمع في الإسلام بكاهن، وهذا من معجزات سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لزوال الإشكال في الوحي"، وقد ذكر النويري طرفا من أخبار الكهنة ، لا مجال لنقله [١] .

والمراد من سقوط الشهب السماوية، هو الإرشاد إلى قطع رصد الشياطين والجن من السماء ، ومنعهم من استراق السمع ، فما دام الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد برز بالوحي إلى العالم أجمع ؛ لزم إذن أن تمنع أقوال الكهان ، ومن يتكلم عن الغيب من أقوال الجن الملفقة بالكذب ، وخلاف الواقع ، حتى لا يلتبس الوحي بغيره، ولا تكون هناك أية شبهة كانت في أمر الوحي ، ومن ثم بعد نزول القرآن حظرت الكهانة تماما ، فسد القرآن الكريم الطريق عليهم[٢].

ويضيف أحمد حسن الزيات: "فقد كان كهان العرب ككهان الإغريق يزعمون أنهم مهبط الإلهام وأنجياء الأرباب، فكانوا يسترحمونهم بالأناشيد، ويستلهمونهم بالأدعية، ويخبرون الناس بأسرار الغيب في جمل مختارة الألفاظ مسجوعة الفواصل لتكون أسمى من كلام الناس، وأجدر بصدورها عن الآلهة"[٣] .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب – تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري حـ ٣ صـ ١٢٨ وما بعدها . نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية وينظر: الفن ومذاهبه في النثر العربي د. شوقي ضيف صـ ٣٨، ٣٩– الطبعة الثانية – دار المعارف ١٩٧٧.

(٢) المعجزات الأحمدية صـ٢٠٢ بتصرف .تأليف بديع الزمان سعيد النورسي . ترجمة إحسان قاسم الصالحي .مطبعة سوزلر للنشر بالقاهرة الطبعة الثانية ٢٠٠٩م .

(٣) دفاع عن البلاغة أحمد حسن الزيات صـ ١٠٧ . مطبعة الرسالة ١٩٤٥ م .

فهذا تأكيد على القداسة الدينية، والنفوذ الكبير الذي كان يتمتع به الكهان؛ مما كان له أكبر الأثر في نفوس من يلجأ إليهم .

وللرافعي كلام معلل في هذا الصدد حيث يقول: وقد مضى العرب على أن يسمعوا للكهان ويطيعوا، ووقر ذلك في أنفسهم واستناموا إليه، ولم يجدوا كلام الكهان إلا سجعا.

ثم يعلل قائلا: لذلك سبب فلسفي يرجع إلى رغبة الكهان في استمالة من يستمع إليهم" (١) .

ويضيف شوقي ضيف بأن الكهان لم يكونوا يسجعون فحسب؛ بل كانوا يعمدون إلى ألفاظ غامضة مبهمة، حتى يتركوا فسحة لدى السامعين؛ كي يؤول كل منهم ما يسمعه حسب فهمه وظروفه ؛ ومن ثم دخل الرمز في كثير من أقوالهم، إذ يومئون إلى ما يريدون إيماء، بل وقلما صرحوا ووضحوا؛ لأن ذلك يتعارض مع تنبئهم الذي يقوم على الإبهام والوهم والخداع، ومن ثم كان من أهم ما يميز أسجاعهم ، عدم وضوح الدلالة، وأن يكثر فيها الاختلاف والتأويل. (٢)

وننتقل بعد ذلك لذكر نماذج من سجع الكهان.

---

(١) تاريخ آداب العربية للرافعي صـ ١٧٤. طبعة دار الكتاب العربي ـ الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤ م .

(٢) تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي شوقي ضيف صـ ٤٢٢- ٤٢٣ بتصرف.

نماذج من سجع الكهان

أ ـ أنموذج لعزي سلمة بن أبي حية

*** يقول الجاحظ [١] : قالوا أكهن العرب وأسجعهم سلمة بن أبي حية، وهو الذي يقال له : عزى سلمة ، وروي له:- والأرض والسماء، والعقاب الصقعاء، واقعة ببعقاء ، لقد نفر المجد بني العشراء، للمجد والسناء.**

ب ـ أنموذج آخر لكاهنة تسمى زبراء" مع بني رئام من قضاعة تنذر قبيلتهم نمارة عليهم تقول لهم:-

"واللوح الخافق، والليل الغاسق، والصباح الشارق، والنجم الطارق، والمزن الوادق، إن شجر الوادي ليأدوا ختلا، ويحرق أنيابا عصلا، وإن صخر الطود لينذر ثكلا، لا تجدون عنه معْلا ." [٢]

جـ ـ أنموذج للكاهن سواد بن قارب الدوسي [٣] يقول فيه :

"والسماء والأرض، والغمر والبرص، والقرض والفرض ، إنكم لأهل الهضاب الشم، والنخيل العم، والصخور الصم من أجا العيطاء، وسلمى ذات الرقبة السطعاء" وقال:

---

(١) البيان والتبيين حـ ١صـ٢٠٥ الصفعاء التي في وسط رأسها بياض ، والصقعاء الشمس البقعاء الأرض ذات الحصى الصغار، أو اسم ماء ، نفر: حكم لهم بالغلبة على غيرهم بنو العشراء: من بني مازن بن فزازه بن ذبيان ، من قبيلة فزارة.

(٢) جمهرة خطب العرب حـ ١، صـ ١١٠- ١١١: اللوح : الريح :الغاسق: شديد الظلمة الوادق المزن ذو الماء أو الممطر، ختلا: الختل: الخدع، يأدو : يختل : يخدع ـ عصلا: معوجة ـ ثقلا: الثقل : الفقد – المعل : الملجأ.

(٣) جمهرة خطب العرب صـ ٨٣. أحمد زكي صفوت الطبعة الثانية ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢م. (الغمر:الماء الكثير، البرض:الماء القليل القرض: ما تعطيه لتقضاه –الفرض – مافرضته على نفسك فوهبته العم: الطوال – أجأ وسلمى جبلان في طيء – العيطاء : الطويلة – السطعاء: الطويلة – الدلوك : ديوك الشمس: غروبها أو اصفرارها ـ البرثن : ظفر كل ما لا يصيد من السباع والطير مثل الحمام والضب – المرخ: شجر تقدح منه النار، الإعليط: وعاء ثمر المرخ تشبه به أذان الخيل : الأسرة: ما يشد به خشب الرجل الشرخ: الجانب) .

"أقسم بالضياء والحلك، والنجوم والفلك، والشروق والدلك، لقد خبأت برثن فرخ، في أعليط قرخ، تحت آسرة الشرخ.

* ويعلق أبو هلال العسكري على قول الكاهن: والسماء والأرض، والغمر والبرض، والقرض والفرض، ومثل هذا من السجع مذموم لما فيه من التكلف والتعسف(١).

د ـ أنموذج للكاهن الخزاعي ينفر ها شم بن عبد مناف ، على أمية بن عبد شمس يقول فيه: القمر الباهر، والكوكب الزاهر، والضمام الماطر، وما بالجو من طائر، وما اهتدى بقلم مسافر من منجد وغائر، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر ، أولا منه وآخر، وأبو همهمة بذلك خابر"(٢)

هـ ـ أنموذج لكاهن بني الحارث بن كعب يحذرهم غزو بني تميم يقول:

"إنكم تسيرون أعقابا، وتعزون أحبابا، سعدا وربابا ، وتردون مياها جبابا، فتلقون عليها ضرابا، وتكون غنيمتكم ترابا، فأطيعوا أمري ولا تغزوا تميما"(٣) .

و ـ أنموذج للكاهنة سلمى الهمدانية في حريم المرادي (٤) تقول :

"والخفو والوميض، والشفق كالإحريض، والقلة والحضيض، إن حريصا لمنيع الحيز، سيد مزيز، ذو معقل حزيز، غير أني أرى الحمة ستطفر منه بعثرة، بطيئة الجبرة ، فأعز ولا تنكع.

---

(١) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري صـ ٢٦١ . تحقيق : عادل محمد البجاوي ـ محمد أبو الفضل إبراهيم . ط. المكتبة العصرية بيروت ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب حـ٣ صـ ١٣٢، ١٣٣، جمهرة خطب العرب صـ ٧٨. (أبو همهمة هو: صهر أمية بن عبد شمس وكان حاضرا المنافرة) .

(٣) السابق صـ٨ جباب: جمع جب، وهي البئر العميقة كثيرة الماء.

(٤) السابق صـ ١١٣ الخفو: اللمعان الضعيف، الوميض: أشد من الخفو ـ الأحريض: العصفر القلة أعلى كل شيء: الحضيض: المنخفض من الأرض الحيز: الناحية، سيد مزيز فاضل – الحمة: القدر أدفود الحمام – نكع– رد ودفع.

* ولقد ذكر الرماني أن مثل ما قاله الكاهن عزى سلمة وأمثاله ، في قوله في الأنموذج الأول: والأرض والسماء، والغراب الواقعة ببقعاء، لقد نفر المجد إلى العشراء : أن هذا عيب ولُكْنة ؛ لأنه تكلف من غير الوجه الذي توجبه الحكمة، ومثله مثل من رصَّع تاجا ثم ألبسه زنجيا ساقطا، أو نظم قلادة در ثم ألبسها كلبا: وقبح ذلك وعيبه ، لمن له أدنى فهم [١] .

وبنى الرماني كلامه السابق عندما تكون المعاني في الأسجاع تابعة للألفاظ، والألفاظ هي المقصود قصدا لذاتها، دون اعتبار للمعاني؛ لأنه يرى أن المعاني هي الغرض الأهم، وأن تكون الألفاظ ملائمة لها أشد ما يكون الالتئام، أما إذا كان الغرض الأهم هو أن تكون المعاني تابعة للألفاظ، فهذا من الكلام الغث الركيك الخالي من الفائدة.

ويعلق شوقي ضيف على أنموج الكاهن عزى بن سلمة: والأرض والسماء والعقاب الصقعاء. [٢] فيقول: وإن صحت هذه الكلمة لعزى سلمة "فإنها ترينا أن الكهان كانوا يعتمدون في كهانتهم على السجع، كما كانوا يعتمدون على مثل هذه الأقسام، والأيمان، بالأرض ، والسماء ، والطير ، والشمس، وما يتصل بذلك من القمر، والنجوم ، والكواكب ، والأشجار ، والرياح، وكل ما يظنون أنه يحمل قوى خفية –وأيضاً– كان يعتمدون على الإغراب في ألفاظهم والتأثير في نفوس السامعين ، وكانوا يلجأون إلى الإبهام في أحاديثهم وأقوالهم ، وكانوا يعتمدون في هذا الإبهام على الأقسام واللفظ الغريب ؛ ليتيح لهم ذلك ما يريدون من الوهم في أساليبهم ومعاني كلامهم.

---

(١) النكت للرماني ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن صـ ٩٧/ ٩٨ بتصرف بسير تحقيق محمد خلف الله– د. محمد زغلول سلام/ دار المعارف الطبعة الرابعة.

(٢) الفن ومذاهبه في النثر العربي د. شوقي ضيف صـ٤١ – الطبعة الثامنة دار المعارف سنة١٩٧٧.

وأكبر الظن أنهم كانوا يبالغون في ذلك حتي تنبهم وتغمض دلالاتهم ويكثر الاحتمال والتأويل.

ويقول أحد الباحثين [١]:

فكان سجعهم داعيا إلى السخرية منهم، والتندر بهم ، ونحن نعرض شيئا من هذا السجع ؛ لندل على أنه كان يحمل في طياته أسباب فنائه، وأنه من أجل مثله ومثل سجع الكهان ، كان حقا أن يكره هذا اللون من القول ، وأن يصد عنه.

فاختفاء سجع الكهانة لم يمنع من ظهور "سجع آخر، أعرق منه في الكذب والضلال والتمويه، وأكثر منه اضطرابا في النظم وابتذالا في اللفظ، وهلهلة في النسج، وسماجة في التركيب، وظلمة في التعقيد ، وسخفا في المعنى ، وهو سجع المتنبئين".

إذاً هذه صفات سجع المتنبئين ، وهي تنسحب على سجع الكهان .

"والناظر في كلام الكهان يجد أنه قصد به اتحاد الحروف من غير نظر إلى المعنى ، ومن غير أن تكون المعاني في ذاتها ذات قيمة ؛ بل لا يقصدون إلا إلى رص الكلمات متحرين اتحاد المقاطع"[٢] .

ويقول د. علي الجندي:-

وظاهر من نماذج نثرهم أن الكهان كانوا يستعملون السجع المتكلف الغامض، وفي جمل قصيرة غير واضحة المعنى، لكي تتخير الأذهان في فهم المقصود منها.

وأغلب الظن بل يكاد يكون من المؤكد، أنهم لم يكونوا يدركون حقيقة ما يقولون، فكانوا يأتون بالألفاظ ويرصفونها بعضها بجانب بعض ، دون وعي تام لمعانيها، مادام السجع موجودا فيها ، ويكتنفها الغموض والإبهام، مكتفين بالإيماء

---

(١) الخطابة في صدر الإسلام د محمد طاهر درويش جـ١/٤٥٢. دار المعارف طبعة ١٩٦٥ .

(٢) المعجزة الكبري للشيخ أبو زهرة صـ٢١٦ دار الفكر العربي بالقاهرة ١٤٣٠هـ سنة٢٠٠٩م

والتلميح ، متخذين من حال مخاطبهم النفسية ما يساعدهم على ذلك كما يفعل ضاربوا الرمل والحصى بيننا الآن[١] .

وننتقل بعد ذلك إلى بيان خصائص سجع الكهان

خصائص سجع الكهان

وضحنا فيما سبق أن سجع الكهان مرتهن بوظيفة الكهانة والعرافين، يقصده الكهان قصدا لذاته ، وعرف بهم ، ومن ثم نسب إليهم ، مثل نسبة الشعر إلى الشعراء؛ ومن ثم نستطيع أن نوجز أهم خصائص أسلوب الكهان فيما يأتي:-

١- التزام السجع في كل أقوالهم من أوله إلى آخره لا ينفك عنهم، عُرفوا به وعُرف بهم.

٢- سجع متكلف ومصنوع وله غرضه غير المقبول، فأوزانه ليس فطرية ، لا تنم عن طبع ولا تحمل سليقة محمودة ، ومن ثم خلا من الافتنان وضروب الفصاحة والبيان.

٣- سجع تتبع فيه المعاني الألفاظ، وهذا مخالف لما جبلت عليه الفصاحة والبلاغة.

٤- ألفاظه لا تستدعي فواصلها، ومن ثم خلا من سمو المعاني

٥- معظم كلامهم غث ومرذول، ليس فيه تصوير ولا خيال، ومن ثم خلا من الإبداع.

---

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي د. علي الجندي صـ ٢٧٠ دار الفكر العربي.

٦- عدم وحدة الموضوع، ومن ثم لا يوجد ترابط بين الجمل، وأقل ما يوصف به عدم تماسك عباراته.

٧- يعمدون عمدا إلى القسم، والأيمان بالأرض وما فيها، والسماء وما فيها؛ لإيهام متلقيهم بالقوى الخفية، بغية السيطرة على عقولهم.

٨- اضطراب في النظم، وابتذال في الألفاظ.

٩- ومن أبرز خصائص أسلوبهم الغموض، والغرابة، والإبهام، والكذب والتضليل، والتمويه، والاعتماد على الرمز والحوارية، ومن ثم تحتمل تأويلات مختلفة.

١٠- قصر جمله ، وما تحمله من كثرة الجناس ، الذي لا تطلبه المعاني.

ويقول صاحب الصبغ البديعي : -

"ونرى أن النهي في الحديث منصب على سجع الكهان، لا لتكلفه فحسب، بل إنه قد عهد في الكهان التمويه في أحكامهم، وإنما يقصدون إلى السجع مصرين عامدين؛ لأنه يخامر العقول، ويخدر الأعصاب، ويؤثر في النفوس تأثير السحر(١).

وهكذا فإن أقوال الكهان خلت من جمال التصوير، وروعة المعاني، وخلت من الفائدة التي تعطيها الفصاحة والبلاغة، وحسن البيان ، ومن ثم فإن المعاني فيها غير مستقيمة ، وغير محمودة ؛ فقد فاتها الحسن ، وغابت عنها البلاغة .

(١) الصبغ البديعي أحمد موسي صـ ٢٢٢. دار الكتاب العربي بالقاهرة ـ ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م .

وفي النهاية أقول: أين البلاغة في مثل سجع الكهان ؟، وأين سمو المعاني الذي يحملها في طياته ؟، وما القيمة من وراء هذا السجع سوى التكلف الممقوت، والغموض، والغرابة، والإبهام، وكلها معوقات لمهمة البيان، ثم أين عذوبة الألفاظ ورونقها وسلاستها؟.

وأين براعة الاستهلال، وجودة المقاطع وحسن الانتهاء؟، وبعد كل ذلك نقول: هل سجع الكهان يثير خيالا ؟، أو يرهف حسا ، ويولد فكرا؟، أو ينمي ذوقا ، أو يصنع إبداعا؟، وهل مثل هذا السجع ، إذا وجد في القرآن يتناسب مع إعجاز القرآن ؟ .

الرد على "بروكلمان" في قصره السجع على سجع الكهان من خلال فنون النثر الجاهلي.

إن المتأمل في النثر الجاهلي خطبا، وأمثالا، وحكما ووصايا، ويعقد موازنات بين أساليبها، وبين أسلوب الكهان، فسوف يجد البون شاسعا ؛ لأن العرب لم تلتزم السجع في أقوالهم كما التزم الكهان السجع في كل أقوالهم، بل إن بعض خطب الجاهليين امتزجت بالشعر، كما إن كثيرا من أمثالهم خلت من السجع، وكذلك بعض حكمهم ووصاياهم، وسوف نعرض أمثلة ندلل بها على ما نقول.

وإذا نظرنا في السجع الوارد في نثر الجاهليين، نجده السجع البليغ الذي يطلبه المعنى، ويستدعيه المقام، بحيث لوترك السجع معها، يعد إخلالا بحق المعاني، ومن ثم فالسجع لم يقصد لذاته، مثل سجع الكهان المرتبط بوظيفة الكهانة.

ومما ليس بخاف، أن خطب الجاهليين تعددت وتنوعت موضوعاتها وأغراضها؛ فوظفوها في مقام المنافرات، والمفاخرات، ومقام الصلح والدية، وكذلك في الزواج والتهنئة، ومقام المواساة والتعزية، وفي النصح والإرشاد، كما تعددت أماكنها في الأسواق و والمحافل والوفادة على الملوك والأمراء، وفي كل ما ذكر مراعاة لمتقضيات الأحوال واختلاف البيئات والأزمنة، وترى معها الرغبة

الواضحة في الإقناع والإمتاع ، في سبيل الوصول إلى الغرض المنشود، وهذا يحتاج إلى بلاغة عالية وحسن بيان ، وهذا ما لا يقوم به السجع وحده ، بل إن في التزام السجع خروجا عن الفصاحة ، كما سنوضحه بعد قليل.

– ومما يؤكد على أن السجع في نثر الجاهليين لم يقتصر على سجع الكهان، ما قاله د.ج هيوارث: "النثر العربي في الجاهلية دائر بين السجع، والازدواج، والترسل، أو المنثور المرسل، وقد جاء القرآن الكريم على هذه الأنواع الثلاثة"(١).

وهذا رد مفحم على "بروكلمان" الذي قصر السجع على سجع الكهان وكذلك دليل قاطع على خلو القرآن من سجع الكهان ، كما زعم "بروكلمان" .

– وقد وصف زكي مبارك قصر السجع على سجع الكهان بأنه حديث خرافة، وأن السجع عند الجاهليين لون من الزخرف الفني، يلجأ إليه الكاتب، والخطيب، رغبة في التأثير(٢) .

– ويقول أستاذنا محمد رجب البيومي :" إن السجع الجاهلي لم يكن حجرا محجورا على الكهنة والمتكهنين ، حتي يلحق به كل سجع يقال، إنما تداوله الخطباء والمنافرون ، والمتحدثون تداولا ، لا يشتبه في شيء بما تنطق به الكهان من سجعات ؛ ولذلك لم يجرؤ جاحد من أعداء الرسالة أن يلحق أسلوب القرآن بسجع الكهان عن صدق موقن؛ وإنما هو تخبط ضال ، كتخبط من نسب القرآن للشعر سواء بسواء(٣).

---

(١) الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي د. ج هيوارث دن صـ ٨٤

(٢) النثر الفني في القرن الرابع لزكي مبارك حـ٢ صـ ٩٤ بتصرف يسير . ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٠م .

(٣) البيان القرآني د. محمد رجب البيومي صـ١٦١ سلسلة البحوث الإسلامية ١٣٩١هـ – ١٩٧١ م .

الخطابة والشعر

وأكبر دليل عملي على عدم التزام الجاهليين السجع في خطبهم؛ هو وجود الشعر ممزوجا في كثير من خطبهم ، وسوف نعرض نماذج لذلك بعد قليل .

وقد تكلم الجاحظ عن الخطباء الشعراء، وذكر منهم: عجلان بن سحبان الباهلي، وذكر الشعراء الخطباء ومنهم: عمران بن حطان، كما ذكر الخطباء الشعراء العلماء ومنهم: أعشى همدان، كما ذكر من الخطباء الشعراء الأبيناء الحكماء: قس بن ساعدة الإيادي، وهو الذي قال عنه النبي – صلى الله عليه وسلم – رأيته بسوق عكاظ على جمل أحمر، وهو يقول: أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا ، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت.

وقد علل الجاحظ لسبب إعجاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – بخطبة قس بن ساعدة لاحتجاجه بالتوحيد، ولإظهاره معني الإخلاص، وإيمانه بالبعث، ولذلك كان خطيب العرب قاطبة [١].

وهنا نعرض سؤالا : إذا كان الرسول الكريم قد ذكر خطبة قس بن ساعدة كما روى الجاحظ وغيره[٢] ألا يدل ذلك على استحسان الرسول الكريم لهذه الخطبة؟ وإذا كان الأمر كذلك، فهل يعقل أن تكون الخطبة فيها سجع الكهان ويستحسنها الرسول الكريم ؟، فلو كان فيها من خصائص سجع الكهان لنهى عن سماعها، وإلا فكيف ينهى عن سجع الكهان ويقبل مثله؟

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ حـ ١صـ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ،٥٥ ، ٢١٧ بتصرف تحقيق عبد السلام هارون مكتبة ابن سيناء ٢٠١٠.

(٢) نقد النثر المنسوب لقدامة بن جعفر ٩٨/ ٩٩ – دار الكتب العملية / بيروت لبنان ١٤١٦ – ١٩٩٥.

وعندما يتحدث الجاحظ عن الخطباء الشعراء، والشعراء الخطباء، والخطباء الشعراء العلماء، والخطباء الشعراء الأبيناء الحكماء؛ فإن هذا يعد دليلاً قاطعا على أن كثيرا من خطب الجاهليين لا تخلو من شعر، ومن ثم يعد دليلا على عدم التزام الجاهليين السجع في كلامهم ، على عكس الكهان والعرافين ، الذين التزموا السجع في كل أقوالهم .

* ويتحدث علي الجندي عن امتزاج الشعر بالخطابة الجاهلية فيقول:

كما كان يتخلل نثرهم ، وبخاصة الخطابة أبيات شعرية ، فتضفي على الكلام جمالا وروعة، وكان الخطباء يحفلون بخطبهم ، ويتخيرون لها أشرف المعاني، وأقوى الألفاظ، وأشدها وقعا على القلوب ليكون تأثيرها أعظم. (١)

وهناك من الباحثين من جعل الاستشهاد بالشعر، من خصائص الخطابة الجاهلية فيقول: لما كان الشعر أهم الفنون الأدبية في العصر الجاهلي؛ فإن الخطيب كان يتوكأ على الشعر، ويناقل بينه وبين النثر، فمرة يجعل الشعر حشوا في خطبته، ومرة يجعلها خاتمة لها ، ثم قال : لا يخلو الخطباء من سجع وازدواج وتوازن ؛ لأن هذه الظواهر تعين الخطيب على التأثير في القلوب والأسماع (٢) .

* ويؤكد باحث آخر على امتزاج الخطب الجاهلية بالشعر فيقول : "والناظر فيما قدمنا من نماذج خطبهم يراهم يطعمونها بالشعر ، ومن أراد أن يتتبع ذلك فيما روي عنهم فسيجد منه شيئا كثيرا لحذيفة بن بدر الفزاري، والأشعث الكندي، وبسطام الشيباني، وحاجب بن عاصم، وكعب بن لؤي،

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي. د. علي الجندي ٢٦٥- ٢٧٣ بتصرف دار الفكر العربي القاهرة
(٢) الأدب الجاهلي د غازي طليمات والأستاذ عرفان الأشقر صـ ٥٤٨ بتصرف الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

وقس بن ساعدة، وقيس بن خفاف البرجمي، وحاتم الطائي، والحارث بن كعب، وقبيصة بن نعيم، ودويد بن زيد وكثير غيرهم(١).

ويقول شوقي ضيف: " ومن يقرأ الفقر القصار والمحاورات المختصرة التي بقيت من تراثهم يشعر حقا أنهم كانوا يبتغون التجويد في كلامهم تارة بما يصوغونه فيه من سجع، وتارة أخرى بما يخرجونه فيه من استعارات وأخيلة، ودائما يعنون ببهاء اللفظ وقوته ونصاعته، كما يعنون بوضوح الحجة....، وابتغوا دائما في كلامهم أن يؤثر في نفوس سامعيهم، بما حققوا له من ضروب بيان وبلاغة(٢).

نماذج من النثر الجاهلي ممزوجة بالشعر

أولاً : الخطب :

خطبة قس بن ساعدة الإيادي المشهورة التي مطلعها: أيها الناس اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، روي أنه قال في آخرها شعرا هو:

في الذاهبين الأولين	ن من القرون لنا بصائر.
لما رأيت مواردا	للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها	يسعى الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي إلي	ي ولا من الباقين غابر

(١) الخطابة في صدر الإسلام د. محمد طاهر درويش حـ ١ صـ ٩٢ بتصرف دار المعارف مصر سنة ١٩٦٥.

(٢) تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي –د. شوقي ضيف صـ ٤١٨– ٤١٩ بتصرف دار المعارف– الطبعة الخامسة والثلاثون ٢٠١٤.

أيقنت أنـي لامحـا لة حيث صار القوم صائر[١]

خطبة كعب بن لؤي [٢]

"اسمعوا وعوا، وتعلموا تعلموا، وتفهموا تفهموا، ليل ساج، ونهار صاج ، والأرض مهاد، والجبال أوتاد، والأولون كالآخرين، كل ذلك إلى بلاء ، فصلوا أرحامكم وأصلحوا أحوالكم ..... ثم قال شعرا:

نهار وليل واختـلاف حوادث سواء علينا حلـوها ومريرها
يثوبان بالأحداث حتى تأوبا وبالنعم الضافي علينا ستورها
صروف وأنباء تقلب أهلهـا لها عقد ما يسـتحيل مريرها

خطب خلت معظمها من السجع:

خطبة عمرو بن معد يكرب الزبيدي [٣]

إنما المرء بأصغريه، قلبه ولسانه، فبلاغ المنطـق الصـواب، ومـلاك النجعة الارتياد، وعفو الرأي خير من استكراه الفكرة، وتوقيف الخبرة خير مـن اعتساف الحيرة، فاجتبذ طاعتنا بلفظك، واكتظم بادرتنا بحلمك، وألن لنـا كنفـك يسلس لك قيادنا؛ فإنا أناس لم يوقس صفاتنا قراع مناقير، من أراد لنـا قضـما، ولكن منعنا حمانا من كل رام لنا هضما.

(١) البيان "والتبيين حـ١ صـ ٢١٧، ٢١٨ إعجاز القران للباقلاني تحقيق السيد أحمـد صـقر صـ ١٥٢ الطبعة الرابعة – دار المعارف القاهرة مجمع الأمثال للميداني حـ١ صـ١٣٠ تحقيق أحمد علي حسن، طارق الأشهب مكتبة الآداب القاهرة الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ -٢٠١٢.
(٢) جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت، حـ١ صـ ٧٣ نقلا عن صـبح الأعشـى ١: ١١٢.
(٣) جمهرة خطب العرب صـ ٦٣.

خطبة عامر بن الطفيل العامري [١]

" كثر فنون المنطق، ولبس القول أعمي من حندس الظلماء، وإنما الفخر في الفعال، والعجز في النجدة، والسودد مطاوعة القدرة، وما أعلمك بقدرنا، وأبصرك بفضلنا وبالحرى إن أدالت الأيام، وثابت الأحلام أن تحدث لنا أمورا لها أعلام".

خطبة أكثم بن صيفي[٢]

إن أفضل الأشياء أعاليها، وأعلى الرجال ملوكها، وأفضل الملوك أعمها نفعا، وخير الأزمنة أخصبها، وأفضل الخطباء أصدقها، الصدق منجاة، والكذب مهواة، والشر لجاجة، والحزم مركب صعب، والعجز مركب وطيء، وأفة الرأي الهوى، والعجز مفتاح الفقر، وخير الأمور الصبر، وحسن الظن ورطة، وسوء الظن عصمة، وإصلاح فساد الرعية، خير من إصلاح فساد الراعي، من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء، شر البلاد بلاد لا أمير بها، شر الملوك من خافه البريء.

ومن أمثلة ما اجتمع فيه النثر مع الشعر :

قول قيس بن خفاق البرجمي (من قبيلة تميم) مع حاتم الطائي في دماء حملها عن قومه وخذله قومه، فقال قيس بن خفاف البرجمي لحاتم الطائي:-

"إنه وقعت بين قومي دماء فتواكلوها، وإني حملتها في مالي وأهلي، فقدمت مالي، وكنت أملي، فإن تحملها فرب حق قضيته وَهَمٍّ كفيته، وإن حال دون ذلك حائل لم أذمم يومك، ولم أيأس من غدك، ثم أنشأ يقول:

---

(١) السابق صـ ٦٢.

(٢) السابق صـ ٥٦.

حمـــلت دمـــاء للـــبراجم جمـــة فجئتك لما أســـلمتني البراجم
وقالوا سفاها" لم حملت دماءنـــا فقلت يكفي الحمالة حـــا تم
متى آته فيهـــا يقل لـــي مرحبـــا وأهلا وسهلا أخطأتك الأشـــائم
فيحملها عنـــي وإن شئت زادنـــي زيادة من حنت إليـــه المكارم
يعيش الندى ما عاش حا تم طيء فإن مات قامت للسخاء مآ تم[1]

فمقام الكلام في تحمل الدية لها أسلوبه ، ومعانيه التي تقتضيه ، ومن ثم فإن النثر والشعر منسجمان مع المقام والسياق ، وقد أصاب المحز.

فأين التزام السجع هنا ؟ وإذا كان في الكلام من سجع ، فأين هـــو مـــن سجع الكهان، يا برو كلمان ؟.

الوصايا :

ومن الوصايا التي امتزج فيها النثر مع الشعر:.

وصية الحرث بن كعب لبنيه [2]

" يابني قد أتت على مائة وستون سنة، ما صافحت يميني يمين غادر، ولا قنعت لنفسي نجلة فاجر.....

إلى أن قال: يا بني إني قد أكلت مع أقوام وشربت، فذهبوا وغبرت ، وكأني بهم قد لحقت، ثم قال:

أكلت شـــبابي فأفنيـــته وأبليت بعـــد دهـــور دهـــورا
ثلاثة أهلين صـــاحبتهم فبادورا وأصبحت شيخاً كبيراً
قليل الطعام عسير القيام قد ترك الدهر خطوي قصيرا
أبيت أراعي نجوم السماء أقلب أمـــري بطونا ظهورا

(١) جمهرة خطب العرب صـــ ١٢٢- ١٢٣- نقلا عن شرح أبي الحديد حـــ ٤ صـــ ١٥٤.
(٢) السابق صـــ ١٢٩ نقلاً عن أمالي السيد المرتضي ٢ : ١٦٨.

وصايا خلت من السجع:

وصية حصن بن حذيفة لبنيه [١]

أوصى حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري بني بدر فقال :

"اسمعوا مني ما أوصيكم به: لا يتكل آخركم على أولكم، فإنما يدرك الآخر ما أدركه الأول، وأنكحوا الكفء الغريب، فإنه عز حادث، وإذا حضركم أمران فخذوا بخيرهما صدرا، فإن كل مورد معروف.

واصحبوا قومكم بأجمل أخلاقكم، ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه، فإن الخلاف يزري بالرئيس المطاع، وإذا حادثتم فاربعوا، ثم قولوا الصدق، فإنه لا خير في الكذب، وصونوا الخيل ، فإنها حصون الرجال، وأطيلوا الرماح فإنها قرون الخيل، وأعزُّوا الكبير بالكِبَر ، فإني بذلك كنت أغلب الناس".

نثر وشعر في باب النصيحة

نصيحة الجمانة بنت قيس بن زهير لجدها الربيع بن زياد [٢]

"إذا كان قيس أبي، فإنك يا ربيع جدي، وما يجب له من حق الأبوة عليَّ إلا كالذي يجب عليك من حق البنوة لي ، والرأي الصحيح تبعثه العناية ، وتجلى عن محضه النصيحة ، إلى آخر ما قالت ، ثم أنشأت تقول:

أبي لا يرى أن يترك الدهر درعه	وجدي يرى أن يأخذ الدرع من أبي
فرأي أبي رأي البخيل بماله	وشيمة جدي شيمة الخائف الأبي

(١) وينظر وصايا أخرى خلت من السجع تقريبا صـ ١٣٣ / ١٣٤.

(٢) جمهرة خطب العرب صـ ١٤١ / ١٤٢ نقلا عن بلاغات النساء صـ ١٢٥.

نصيحة أكثم بن صيفي لقومه [١]

"أقلُّوا الخلاف على أمرائكم، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل، والمرء يعجز لا محالة، يا قوم تثبتوا، فإن أحزم الفريقين الركين، ورب عجلة تهب ريثا، واتزروا للحرب، وادرعوا الليل، فإنه أخفى للويل، ولا جماعة لمن اختلف".

نماذج من الرسائل في العصر الجاهلي

كتاب التحالف بين عبد المطلب بن هاشم وبين خزاعة

"باسمك اللهم، هذا حلف عبد المطلب بن هاشم، إذ قدم عليه سـرواتهم، وأهل الرأي منهم، غائبهم يقر مما قاضي عليه شاهدهم" إن بيننا وبينكم عهـود الله وميثاقه، وما لا ينسى أبدا، اليد واحدة، والنصر واحد، ما أشرف ثبير، وثبت حراء بمكانه، وما بل بحر صوفة"[٢].

أمثال غير مسجوعة :

١ ــ إليك أعني واسمعي يا جارة	٢ ــ إن غدا لناظره قريب
٣ ــ ويل لعالم أُمر من جاهله	٤ ــ سبق السيف العذل
٥ ــ إذا عز أخاك فهن	٦ ــ عند جهينة الخبر اليقين
٧ ــ لا يجتمع سيفان في غمد	٨ ــ رجع بخفي حنين
٩ ــ رب ملوم لا ذنب له	١٠ ــ بال حمار فاستبال أحمرة
١١ ــ بلغ السيل الزبى	١٢ ــ أول الحزم المشورة
١٣ ــ مرعى ولا كا لسعدان	١٤ ــ أبلغ من قس
١٥ ــ أبخل من مادر	١٦ ــ بعض الشر أهون من بعض

(١) السابق صـ ١٣٥ نقلا عن الأغاني حـ ١٥ صـ٧٠.

(٢) جمهرة رسائل العرب د. أحمد زكي صفوت زكي حـ١ صـ ٢٥ المكتبة العلمية بيروت.

ومن المعلوم الجلي أن الأمثال أقوال مأثورة، نتاج تجارب وخبرات إنسانية، ولا تخلو من المعاني السامية، والحكم المرشدة، والعظة والعبرة، ومن أمارات بلاغتها الإيجاز وشدة التركيز، ويقول إبراهيم النظام عن بلاغة الأمثال: "يجتمع في المثل أربعة، لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة".(٢)

ويقول ابن المقفع عن بلاغة الأمثال – أيضاً – : إذا جعل الكلام مثلا ، كان أوضح للمنطق ، وأنقى للسمع ، وأوسع لشعوب الحديث (٣)

ولا تخلو الأمثال من جمال التصوير وروعة المعاني، فهي تعبر عن تجارب صادقة، وهي تصور حياتهم وعاداتهم، كما إنها تعبر عن قيمهم وخلقهم ، ومن ثم تميل إليها القلوب وتصغى، بعكس سجع الكهان .

وهكذا تبين لنا بالدليل القاطع والبرهان الساطع، من خلال نثر العرب في خطبهم، ورسائلهم، ووصاياهم ، ونصائحهم ، وأمثالهم ، أن النثر بأنواعه لم يلتزم السجع ، بل اختلط بعضه بالشعر كما وضحنا

وأن فيها من سجع ليس من قبيل سجع الكهان بحال من الأحوال، وإذا كان الحال كذلك، فإن القرآن المعجزة الخالدة، قد خلا تماما من أمثال سجع الكهان، ومن ثم يبطل هذا المطعن الخبيث، وهو قصر السجع عند العرب على سجع الكهان وأن سجع القرآن هو امتداد لسجع الكهان.

والآن ننتقل إلى مطعن آخر : ــ

---

(١) مجمع الأمثال للميداني حـ١ صـ ١٢.

(٢) السابق نفسه .

المبحث الثاني
النقض البلاغي لمطعن كون القرآن كله مسجوعا من أوله إلى آخره

المبحث الثاني

مطعن كون القرآن مسجوعا من أوله إلى آخره

يقول "ريكولدوس دي سانتا كروس"(١) عن لغة القرآن:

"فأما كون أسلوبه إيقاعا مسجوعا من أول الكتاب إلى آخره، فأمر بيِّن لقرائه ...."(٢).

ويقول المستشرق الألماني "بارت رودي": (٣): "إن القرآن كتب مسجوعا من أوله إلى آخره"(٤)

---

(١) ريكولدوس دي سانتا كروس، هو راهب دومنيكي ومبشر عنيف الخصومة ضد الإسلام.ولد حوالي ١٢٤٣ في فيرنته وتوفي ١٣٢٠. زار فلسطين وأرمينية الصغرى والعراق ، كان يدعو إلى الانضمام إلى الكنيسة الكاثولوكية في روما، أقام عشر سنوات في الموصل وبغداد. له كتاب بعنوان: الجدال ضد المسلمين والقرآن. : ضد قرآن محمد. وله كتاب عن أسفاره في الشرق . بنظر. موسوعة المستشرقين/ د. عبد الرحمن بدوى صـ٣٠٦ – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٩٩٣.

(٢) كتاب حضارة الإسلام – جوستاف فون جرونيباوم صـ ١٣٢/١٣١ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد – مراجعة – عبد الحميد العبادى طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠١٤.

(٣) هو مستشرق ألماني ولد في أبريل ١٩٠١ وتوفي سنة ١٩٨٢ دخل جامعة توبنجن ، وتتلمذ في الدراسات العربية، وحصل على الدكتوراه الأولى سنة ١٩٢٤، ثم حصل توبنجن على دكتوراه التأهيل للتدريس في الجامعة سنة ١٩٢٦، وعين في قسم الدراسات الشرقية في جامعة توبنجن ، وفي ١٩٤١م شغل كرسى علوم الإسلام والساميات في جامعة بوتن، و ١٩٥١ عين أستاذا للساميات والإسلاميات في جامعة توبنجن.

– نتاجه العلمي: ترجم القرآن إلى اللغة الألمانية. كتب رسائل صغيرة عن القرآن بعنوان :محمد والقرآن الإسلام والتراث الثقافي اليوناني.

– ينظر : موسوعة المستشرقين د. عبد الرحمن بدوي ص ٦٢–٦٣ دا العلم للملايين – بيروت – الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٣.

(٤) فصول مجلة النقد الأدبي– المجلد الثاني عشر، العدد الثالث ص١١ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٣ ، والسجع في القرآن ــ ديفين ج .ستيوارث ترجمة ودراسة د/إبراهيم عوض صـ٢٠ ــ شركة الأهرام للدعاية والنشر ــ الطبعة الثانية ١٩٩٥م .

وجاء في موسوعة الإسلام :

"يقال دائما: إن جميع القرآن مسجع بنفس طريقة التعبير الإيقاعي، والمقفى للكهان."(١)

الرد على المطعن السابق :

لقد قيض الله لكتابه الكريم من أعداء الإسلام من يدفع عنه مطاعن قد رُمـــي بها ؛ فهذا هو المستشرق "ديفين ستيوارت" يرد على المستشرق الألماني "باريت" ويصفه بالجرأة وعدم الكياسة، كما وصفة بالتحيز والهوى إلى أقصى مدى.

وقد أتى بالأدلة الساطعة على أن القرآن الكريم ليس كله مسجوعا من أوله إلى آخره ، وذلك عن طريق الإحصاء.

وهذا نص كلام المستشرق "ديفين سيتوارت وهو يرد على المستشرق "باريت" : "ويقرر "باريت" Baret في غير كياسة أن القرآن كتب مسجوعا من أوله إلى آخره.

ويقول: إن مقولة " باريت" تذهب في خضوعها للتحيز والهوى إلى أقصى مدى، فتخضع النص لقالب سابق من خلال بحث يتسم بالحساسية.... ثم يستطرد قائلاً: إن محاولة البحث في مشكلة السجع في القرآن وتحديد ماهية هذا السجع نفسه تقتضي ألا نفرض على مادة البحث تقاليد سابقة ....؛ لأن مثل هذا التوجه لن يؤدي إلا إلى صورة من صور الفهم القاصر، الأحرى بنا إذن أن نفهم التقاليد في نطاق مالدينا من تراث نقدي حول السجع والقرآن.

---

(١) موقف المستشرقين من لغة القرآن صـــ٣ العدد ٢٤٢ محرم ١٤٢٠هـــ - مـــايو ١٩٩٩ - موقع **islam a u manoc.**

ويقول "ديفين ستيوارت": إن الخطوة الأولى وهي في الحق خطوة تمهيدية هي معرفة النسبة المئوية للسجع في القرآن، وذلك بأن تحدد أولا عدد الآيات المسجوعة، وفي هذا السبيل قمت بالنظر في الكلمات الأخيرة في آيات القرآن، وسجلت أعداد الآيات المقفاة في كل سورة من سور القرآن على حدة في الملحق المرفق بهذه الدراسة(١)؛ فوجدت أن نسبة تلك الآيات تبلغ ٨٥.٩%، غير أن هذه الأرقام ليست نهائية، أوحتمية، إنها على أحسن تقدير أرقام تقريبية.

وإنه لمن الخطأ -أيضاً- أن نظن أن كل ما يحتوى على قافية هو من باب السجع، ومع ذلك فإن سورتين فحسب من سور القرآن كلها قد خلتا من السجع خلوا تاما، وهما سورة قريش، وسورة الأنصار (يقصد سورة النصر). وهناك ثلاث وثلاثون سورة، جاءت مسجوعة من أولها إلى آخرها.

وتشير النتائج إلى أن القرآن يضم قدراً كبيرا من السجع، بل الأرجح أن تكون الآيات المسجوعة أكثر من تلك التي تخلو من السجع(٢).

والخلاصة :

إن ما ذهب إليه المستشرق "ديفين ستيورات" خير رد عملي على المستشرق "باريت"، ومن وافقه الرأي في أن القرآن كله مسجوع من أوله إلى آخره.

فقوله: تشير النتائج إلى أن القرآن الكريم يضم قدرا كبيرا من السجع"، فيه دلالة قاطعة على خلو بعضه من السجع، ومن ثم تبطل مقولة المستشرقين، بأن القرآن كله مسجوع، وقد نص على أن النسبة المئوية التقريبية هي ٨٥.٩% هي جملة الآيات المسجوعة في القرآن، وأن سورتين من سورة القرآن قد خلتا

---

(١) وسوف نثبت هذا الملحق الإحصائي في الصفحات الآتية.

(٢) فصول مجلة النقد الأدبي صـ ١١ – ١٢، السجع في القرآن ديفين ستيورات ترجمة د. إبراهيم عوض صـ ٢٠، ٢٦.

تماما من السجع، وهما سورة قريش، وسورة النصر؛ وهذا دليل عملي" آخر يؤكد على خلو بعض سور القرآن من السجع تماما.

وأورد الدكتور حسين نصار كلام " ديفين ستيورات"، ونقل جدول الإحصاء بعدد السور والآيات المسجوعة، ووافقه الرأي فيما ذهب إليه(١).

وقد جاء جدول الإحصاء على النحو الآتي: (**إحصائية عن الفواصل في القرآن**).

السورة	رقمها	عدد الآيات	عدد الفواصل
الفاتحة	١	٧	٧
البقرة	٢	٢٨٦	٢٦٤
آل عمران	٣	٢٠٠	١٨٣
النساء	٤	١٧٦	١٤٣
المائدة	٥	١٢٣	١٠٨
الأنعام	٦	١٦٥	١٥٩
الأعراف	٧	٢٠٦	٢٠٣
الأنفال	٨	٧٥	٦٤
التوبة	٩	١٢٩	١٢٤
يونس	١٠	١٠٩	١٠٧
هود	١١	١٢٣	١٠١
يوسف	١٢	١١١	١٠٧
الرعد	١٣	٤٣	٣٧
إبراهيم	١٤	٥٢	٢٨
الحجر	١٥	٩٩	٩٧
النحل	١٦	١٢٨	١٢٦
الإسراء	١٧	١١١	٩٩
الكهف	١٨	١١٠	١١٠
مريم	١٩	٩٨	٨٩
طه	٢٠	١٣٥	١٣٤
الأنبياء	٢١	١١٢	١١١
الحج	٢٢	٧٨	٣٦
المؤمنون	٢٣	١١٨	١١٨

السورة	رقمها	عدد الآيات	عدد الفواصل
النمل	٢٧	٩٣	٩٣
القصص	٢٨	٨٨	٨٧
العنكبوت	٢٩	٦٩	٦٨
الروم	٣٠	٦٠	٥٨
لقمان	٣١	٣٤	٣٠
السجدة	٣٢	٣٠	٢٩
الأحزاب	٣٣	٧٣	٦٠
سبأ	٣٤	٥٤	٥٢
فاطر	٣٥	٤٥	٤٢
يس	٣٦	٨٣	٨٣
الصافات	٣٧	١٨٢	١٨٠
ص	٣٨	٨٨	٨٣
الزمر	٣٩	٧٥	٧٠
غافر	٤٠	٨٥	٧٦
فصلت	٤١	٥٤	٤٦
الشورى	٤٢	٥٣	٤٧
الزخرف	٤٣	٨٩	٨٨
الدخان	٤٤	٥٩	٥٩
الجاثية	٤٥	٣٠	٣٠
الأحقاف	٤٦	٣٥	٣٥
محمد	٤٧	٣٨	٣٥
الفتح	٤٨	٢٩	٢٨
الحجرات	٤٩	١٨	١٧

(١) إعجاز القرآن ــ الفواصل د. حسين نصار صـ ٢٣٧ ــ ٢٣٩، مكتبة مصر بالفجالة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م ..

النور	٢٤	٦٤	٥٩
الفرقان	٢٥	٧٧	٧٧
الشعراء	٢٦	٢٢٧	٢٢٣

ق	٥٠	٤٥	٣٨
الذاريات	٥١	٦٠	٥٥
الطور	٥٢	٤٩	٤٧

السورة	رقمها	عدد الآيات	عدد الفواصل
النجم	٥٣	٦٢	٦١
القمر	٥٤	٨٨	٥٥
الرحمن	٥٥	٧٨	٧٨
الواقعة	٥٦	٩٦	٩٠
الحديد	٥٧	٢٩	١٩
المجادلة	٥٨	٢٢	١٦
الحشر	٥٩	٢٤	١٧
الممتحنة	٦٠	١٣	٨
الصف	٦١	١٤	١٣
الجمعة	٦٢	١١	١١
المنافقون	٦٣	١١	١١
التغابن	٦٤	١٨	١٣
الطلاق	٦٥	١٢	١٠
التحريم	٦٦	١٢	١١
الملك	٦٧	٣٠	٣٠
القلم	٦٨	٥٢	٥٢
الحاقة	٦٩	٥٢	٤٩
المعارج	٧٠	٤٤	٣٦
نوح	٧١	٢٨	٢٢
الجن	٧٢	٢٨	١٧
المزمل	٧٣	٢٠	١٧
المدثر	٧٤	٥٦	٥٤
القيامة	٧٥	٤٠	٣٩
الإنسان	٧٦	٣١	٣٠
المرسلات	٧٧	٥٠	٤٦
النبأ	٧٨	٤٠	٣١
النازعات	٧٩	٤٦	٣٨
عبس	٨٠	٤٢	٣٥
التكوير	٨١	٢٩	٢٥
الانفطار	٨٢	١٩	١٧
المطففين	٨٣	٣٦	٣٦

السورة	رقمها	عدد الآيات	عدد الفواصل
الانشقاق	٨٤	٢٥	٢٣
البروج	٨٥	٢٢	١٧
الطارق	٨٦	١٧	١٤
الأعلى	٨٧	١٩	١٩
الغاشية	٨٨	٢٦	٢١
الفجر	٨٩	٣٠	٢٨
البلد	٩٠	٢٠	٢٠
الشمس	٩١	١٥	١٥
الليل	٩٢	٢١	٢١
الضحى	٩٣	١١	١٠
الشرح	٩٤	٨	٨
التين	٩٥	٨	٨
العلق	٩٦	١٩	١٨
القدر	٩٧	٥	٥
البينة	٩٨	٨	٦
الزلزلة	٩٩	٨	٦
العاديات	١٠٠	١١	١١
القارعة	١٠١	١١	٦
التكاثر	١٠٢	٨	٨
العصر	١٠٣	٣	٣
الهمزة	١٠٤	٩	٨
الفيل	١٠٥	٥	٥
قريش	١٠٦	٤	لا يوجد
الماعون	١٠٧	٧	٧
الكوثر	١٠٨	٣	٣
الكافرون	١٠٩	٦	٢
النصر	١١٠	٣	لا يوجد
المسد	١١١	٥	٥
الإخلاص	١١٢	٤	٤
الفلق	١١٣	٥	٥
الناس	١١٤	٦	٦

مجموع الآيات = ٦٢٣٦، **الآيات المقفاه** = ٥٣٥٥ ، **النسبة المئوية** = ٨٥.٩٪

ومهما كان الأمر، فإن هذه النسبة تؤكد على أن القرآن ليس مسجوعا من أوله إلى آخره.

ويقول المستشرق الإنجليزي "إدوار بالمر".

"والتحسين الخطابي الوحيد الذي سمح محمد ــ صلى الله عليه وسلم – لنفسه به، هو أنه جعل فواصل القرآن وكلماته ذوات إيقاع متفاوت الوزن، وجعل معظم عباراته مسجوعة[١]، فقول المستشرق الإنجليزي: "وجعل معظم عباراته مسجوعة". دليل على أن القرآن ليس كله مسجوعاً من أوله إلى آخره، وإن كان أول كلامه يستحق الرد عليه ؛ لأن القرآن ليس من تأليف النبي – صلى الله عليه وسلم ــ كما نصت عباراته ، فمن المعلوم ضرورة ، أن القرآن كلام الله الذي أنزل على النبي الخاتم .

***ومما يعضد الرد على الطعن الذي نحن بصدده ؛ قول د. ج هيورات دن :**

"جاء القرآن الكريم على أنواع ثلاثة: فمنه المرسل كآية الميراث في سورة النساء، ومنه السجع، كسورة المدثر وغيرها ، من قصار السور، ومنه المزدوج أو المفصل وهو كثير"[٢].

وقد تحدث ابن خلدون عن السجع والترسل في القرآن فقال : ▪

"وأما القرآن وإن كان من المنثور، إلا أنه خارج عن الوصفية، وليس يسمي مرسلا مطلقا، ولا مسجعا، بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع، يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها.

---

(١) أراء المستشرقين ومواقفهم من القرآن د. محمد أبو ليلة صـــ ٤ شبكة المعلومات الأنترنت – تاريخ النشر ٢٠١٥/١/١١ – ٢٠ ربيع الأول ١٤٣٦.

(٢) الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي – د. ج هيوراث دن صـــ ٨٤ – مكتبة الثقافـــة العربية.

ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها، ويثنى من غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية، وهو معنى قوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ الزمر: ٢٣ ، وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ الأنعام: ٩٧ .

النقض البلاغي لالتزام السجع

إن مقاصد البلاغة العالية لا تقبل أن يكون الكلام جاريا على نسق واحد، والقرآن نزل بلغة العرب، وقد ذم البلاغيون التزام المتحدث طريقة واحدة في حديثه؛ لأن ذلك ينافي الفطرة اللغوية السليمة، ويجافي الذوق السليم. والنفس البشرية تأبى أن تستمر على طعام واحد، ومشرب واحد، وهيئة واحدة، وتمل سماع صوت واحد ، وإذا كان الأمر كذلك في كل نواحي حياة الإنسان ؛ فهل يعقل أن يأتي القرآن على طريقة واحدة ، وأسلوب واحد يلتزمه من أوله إلى آخره.

إن التزام السجع في الأساليب العربية قد مجه الذوق ، ونبا عنه الطبع السليم.

ولما كان القرآن قد نزل بلغة العرب، فمن هذا المنطلق راعى القرآن مواطن الفواصل، ومواطن الترسل، فجاء بعضه مسجوعا وبعضه مترسلا.

ويعلل الدكتور زكي مبارك لمجيء القرآن بين السجع والترسل فيقول: "لا يلتزم القرآن السجع، فقد نجد سورا قصيرة مسجوعة، وقد نجد صحفا مسجوعة من السور الكبار، ولكن ذلك لا يطرد فيه، وكثيرا ما ينتقل من السجع إلى الكلام المرسل، وأكثر ما يكون ذلك حين يعني بالمشاكل الدينية، والاجتماعية التي لا يراد بها مخاطبة العقول، ودعوتها إلى ترك ما درجت عليه من بعض أوضاع الاجتماع.[١]

فزكي مبارك هنا يشير إلى أمرين: الأول : عدم التزام القرآن السجع ، وهو أمر بيّن شديد الوضوح.

---

(١) النثر الفني في القرن الرابع لزكي مبارك حـ ١ صـ ٦٩.

الآخر: يشير إلى أن القرآن يسجع حينما يخاطب القلوب، ويترسل حينما يخاطب العقول. ومن ثم يبرز أهمية البلاغة القرآنية ودورها في الإقناع والإمتاع، ومراعاة مقتضيات الأحوال .

وإن كان الفصيح من كلام العرب خطبا ، ومواعظ ، وحكما ، وأمثالا ، لم يأت كله مسجوعا من أوله إلى آخره كما بينا في المبحث الأول ؛ فكيف يكون كلام رب العالمين مخالفا لمقاصد البلاغة والإعجاز ، ويأتي كله مسجوعا من أوله إلى آخره ؟ .

والسؤال البدهي :

أليست البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضي الحال مع فصاحته؟، والقرآن قمة البلاغة العالية ، التي تراعى مقتضيات الأحوال ، وتراعي خصوصية السياق.

* ويؤكد الباقلاني على رفضه التزام السجع فيقول : وليس على المتكلم أن يلتزم أن يكون كلامه كله سجعا، بل يأتي به طورا ثم يعدل عنه إلى غيره، ثم قد يرجع إليه ..... وكيف يعجزهم الخروج عن السجع والرجوع إليه، وقد علمنا عادتهم في خطبهم ، وكلامهم ، أنهم كانوا لا يلزمون أبدا طريقة السجع والوزن، بل كانوا يتصرفون في أنواع مختلفة، فإذا ادعوا على القرآن مثل ذلك ؛ لم يجدوا فاصلة بين نظمي الكلام. (١)

* وقد أشار ابن وهب إلى أن السجع لا يلتزم في الكلام، بل يكون في بعضه ، لا في جميعه.

فأما أن يلزمه الإنسان في جميع قوله ، ورسائله ، وخطبه ، ومناقلاته ، فذلك جهل من فاعله، وعَيّ من قائله.

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني تحقيق السيد صقر صـــ ٥٩- ٦٥ الطبعة الرابعة دار المعارف.

ثم أشار إلى كلام مهم في قوله: ــ

ولو كان لزوم السجع في القول والإعراب في اللفظ هي البلاغة، لكان الله – عز وجل – أولى باستعمالها في كلامه الذى هو أفضل الكلام، ولكان النبي – صلى الله عليه وسلم – والأئمة المهديون، والسلف المتقدمون قد استعملوها، ولزموا سبيلها، وسلكوا طريقها. (١)

• **ومما يؤكد الكلام السابق ويقرره قول ابن سنان الخفاجي**:-

وكان الفصيح من كلامهم لا يكون كله مسجوعا، لما في ذلك من التكلف والاستكراه والتصنع، لا سيما فيما يطول من الكلام، فلم يرد مسجوعا جريا به على عرفهم في الطبقة العالية من كلامهم.

ويؤكد ابن سنان كلامه السابق في موضع آخر فيقول: "ومما يجب اعتماده في هذا ألا تجعل الرسالة كلها مسجوعة، وقد استعمل ذلك في الخطب وغيرها من المنثور، وهو يقع في المكاتبات خاصة(٢).

فابن سنان يقرر أن البلاغة والفصاحة تقتضي ألا يكون الكلام كله مسجوعا من أوله إلى آخره حتى الرسالة لا تكون كلها مسجوعة، وإذا كان الأمر كذلك، فهل من الفصاحة والبلاغة أن يكون القرآن كله مسجوعا من أوله إلى آخره.

---

(١) البرهان في وجوه البيان لأبي الحسين إسحاق بن وهب صـ ١٦٥– ١٦٧ بتصرف – تحقيق د. حفني شرف مطبعة الرسالة.

(٢) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي صـ.١٧٤– ١٧٩ دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٢ – ١٩٨٢م.

* ويقول حازم القرطاجني في ذم الأسلوب الواحد: إنما لم يجيء على أسلوب واحد؛ لأنه لا يحسن في الكلام جميعا أن يكون مستمرا على نمط واحد؛ لما فيه من التكلف، ولما في الطبع من الملل؛ ولأن الاقتنان في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد؛ فلهذا أوردت بعض آي القرآن متماثل المقاطع ، وبعضها غير متماثلة"(١).

ومن كل ما سبق يتضح بالدليل القاطع والبرهان الساطع أن البلاغة العالية ، تأبى مجيء الكلام ملتزما السجع ، من أوله إلى آخره ، ومن ثم يبطل مطعن من قال : إن القرآن كله مسجوع من أوله إلى آخره .

والآن ننتقل إلى مطعن آخر : ــ

(١) منهاج البلغاء لحازم القرطاجني صـــ٣٨٨ /٣٨٩ . تقديم : محمد الحبيب ابـــن الخوجـــة ــ الطبعة الثانية ــ دار الغرب الإسلامي . بيروت ــ ١٩٨١ م .

المبحث الثالث

النقض البلاغي لمطعن التفاوت البلاغي

لسجع السور المكية ، وسجع السور المدنية

نص المطعن :

يقول جولد تسيهر "جولد زيهر" المستشرق الهولندي:

"وبديهي أن التغير الذي حدث في الطابع النبوي لمحمد قد أثر في أسلوب القرآن ، وشكله الأدبي.

والبحث النقدي والبلاغي للقرآن يبرر هذا التمييز التاريخي بوجه عام، ففي العصر المكي جاءت المواعظ التي قدم فيها محمد الصور التي أوحتها إليه حميته الملتهبة، في شكل وهمي، خيالي، حاد، تلقائي، ذاتي.

لكن حمية النبوة وحدتها أخذت في عظات المدينة، والوحي الذي جاء بها، تهدأ رويدا؛ حيث أخذت البلاغة في هذا الوحي تصبح ضعيفة شاحبة، كما أخذ الموحي نفسه ينزل إلى مستوى أقل بحكم ما كان يعالجه من موضوعات ومسائل، حتى لقد صار أحياناً في مستوى النثر العادي..
ثم يستطرد في مطاعنه فيقول:

"ويجب ألا يفوتنا الإشارة إلى أن القوة الخطابية في القرآن أخذت تفتر حماستها، برغم استعمال السجع في أجزاء القرآن، التى نزلت بالمدينة، كما في الأجزاء الأخرى المكية.

لقد كانت السور الأولى في النزول على الشكل الذي تعود الكهان القدماء وضع نبواتهم فيه.

ولو جاء في شكل آخر، ما رضي أي عربي يرى فيه قرأنا موحي من الله، على أن محمدا قد أكد أن جميع ما جاء به هو من الوحي الإلهي . وأنه ما أعظم الفارق بين سجع السور المكية ، وسجع السور المدنية.

بينا نرى محمدا يسرد في الأولى رؤاه الكشفية الإلهامية في فقرات مسجوعة متقطعة، وفق صوت ضربات قلبه المحموم، نرى الوحي في الثاني يتخذ

نفس الشكل السجعي، لكنه مجرد من اندفاعه وقوته ، حتى في الحالات التي أعاد النبي طرق الموضوعات التي تناولها في السور المكية[١]

يحمل كلام المستشرق "جولدزيهر" مطاعن متعددة، بدأها بالمحاولة الخبيثة بالنيل من نبوة الرسول – صلى الله عليه وسلم – محاولا إثبات أن الرسول الكريم تأثر بطابع البيئة التي عاش فيها، ومن ثم بات أثر ذلك واضحاً في أسلوب القرآن وشكله الأدبي ، كما زعم هذا المستشرق ، وكأن القرآن منتج بشري، وليس وحياً من السماء.

ثم راح هذا المستشرق يؤصل لبشرية القرآن –حسب زعمهـ بقوله: "والبحث النقدي والبلاغي للقرآن ...."

وكأن القرآن كتاب في الأدب ألفه أديب من الأدباء ، ومن ثم يخضع لمقاييس البشر .

ثم ركز هذا المستشرق على أن القرآن أثر من أثار طبع الرسول الكريم، يخضع لقوة تجربته الشخصية، ويتأثر بحميته التي تفاوتت بين مكة والمدينة – على حد أباطيله – وهذه الحمية أخذت تهدأ في المدينة، ومن ثم ترتب على ذلك ضعف بلاغة القرآن المدني – بحسب زعمه – ؛ نظرا لطبيعة الموضوعات والمسائل التي كان يعالجها في المدينة، حتى نزلت البلاغة إلى أدنى مستوى.

ويريد بهذا أن يؤصل لفكرة تفاوت بلاغة القرآن، بل يريد أن يصف التفاوت بالشديد، لأن القرآن المدني من وجهة نظره الخبيثة – وصل إلى أدنى

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام– تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي – تأليف – ايجناس جولد تسيهر ترجمة : محمد يوسف موسى وآخـرون صـــــ ٢١ – ٢٢ – الهيئـة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٤.

مستوى للنثر العادي، ومن ثم يكون الفارق كبيرا بين بلاغة القرآن المكي ، وبين بلاغة القرآن المدني.

ولكن الرد على كل ما سبق سهل ميسور؛ لأنه إذا كان القرآن من نتاج النبي – صلى الله عليه وسلم – كما يرى هذا المستشرق وأمثاله ؛ لظهر ذلك جليا بين فصحاء العرب الذي نزل فيهم القرآن يتحداهم، ووضعوا أيديهم على هذا المطعن، وباتوا يشيعون بضعف وتدني بلاغة القرآن المدني، وهم يمتلكون زمام الفصاحة والبلاغة ، وإذا قالوا يُسمع لقولهم.

والسؤال هنا: هل طعن أحد من مشركي العرب على القرآن بهذا المطعن؟، وهل واجهوا به الرسول الخاتم – وهم أشد الناس عداوة له؟ ، فالتاريخ لم يثبت ذلك؟

ولو صح ما قاله المستشرقون، وثبت ذلك بدلائل قطعية الثبوت، وأقرها الواقع؛ لكان ذلك دليلا قويا على بطلان النبوة؛ وهذا ما يسعون إليه ــ زورا وبهتانا ــ

ولكن صحيح الواقع قال بعكس ذلك ؛ حيث شهد الأعداء ببلاغة القرآن.

أما فكرة التغير الذي حدث في الطابع النبوي لمحمد – كما زعم هذا المستشرق ــ ، وأن حميته في مكة التي كانت ملتهبة في شكل وهمي ، خيالي ، حاد ، تلقائي ، ذاتي، فترت في المدينة ، وباتت تهدأ رويدا رويدا .

فالواقع أن كثيرا من المستشرقين خلطوا بين شخصية الوحي ، وبين شخصية الرسول الكريم.

ولقد نسي هؤلاء المستشرقون أن الرسول الكريم لم ينسب هذا القرآن لنفسه، ولو كان القرآن من عنده لحذف كل صور العتاب التي وجهت إليه ، ولكن وجودها في القرآن دليل على صدق الرسول الكريم.

وأن لفظ "قُل – الموجه إليه بصيغة الأمر ، وهو موجود ــ حتى الآن ــ دليل على صدق الرسول الخاتم – ، فإذا كان القرآن من نتاجه فكيف يخاطب نفسه بـــ "قل – ، وكذلك بالنداء في قوله ــ تعالى ــ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ – ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾ .... إلخ؟ .

ويقول العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز – عن صور العتاب الموجهة للنبي – صلى الله عليه وسلم ــ "أرأيت لو كانت هذه التقريعات المؤلمة صادرة عن وجدانه، معبرة عن ندمه ووخز ضميره حين بدا له خلاف ما فرط من رأيه، أكان يعلنها عن نفسه بهذا التهويل والتشنيع؟ ألم يكن له في السكون عنها سترا على نفسه ، واستبقاء لحرمة آرائه.

بل إن هذا القرآن لو كان يفيض عن وجدانه ، لكان يستطيع عند الحاجة أن يكتم شيئاً من ذلك الوجدان.

ولو كان كاتما شيئا لكتم أمثال هذه الآيات، ولكنه الوحي لا يستطيع كتمانه .... كل ذلك شواهد ناطقة بصدقه في أن القرآن لم يصدر عنه، بل ورد إليه، وأنه لم يفض عن قلبه، بل أفيض عليه، هل كان هذا النبي الأمي – صلوات الله عليه – أهلا بمقتضى وسائله العلمية ؛ لأنه تجيش نفسه بتلك المعاني القرآنية ، وهذا استدلال من علم النفس على انفصال شخصية الوحي عن شخصية الرسول الكريم[1]

وبهذا لا يمكن أن يكون القرآن إيحاء ذاتيا من نفس رسولنا الكريم؛ بل هو وحي أُوحي إليه، كما هو معلوم ضرورة.

---

(١) النبأ العظيم للدكتور/ محمد عبد الله دراز صـــ ٢٥، ٣٢، ٣٦ – بتصرف ــ دار القلم للنشر الطبعة الثامنة ١٤١٦هـــ – ١٩٩٦.

ومن ثم يبطل مطعنه ــ أيضاً ــ في قوله: بأن القوة الخطابية في القرآن المدني أخذت تفتر حماستها، مع وجود السجع في القرآن المدني، كما هو الحال في القرآن المكي.

وأما مطعنه بعد ذلك في أن السجع في القرآن على شاكلة سجع الكهان، فقد أبطل البحث هذا المطعن ، وهذه الفرية في المبحث الأول من هذا البحث .

المطعن الأخير وهو موضوع المبحث.

وذلك في قوله :"ما أعظم الفارق بين سجع السور المكية وسجع السور المدنية".

وهذا المطعن مرتبط بمطعن سابق ، وهو يتحدث عن القرأن المدني فيقول: "لكن حمية النبوة وحدتها أخذت في عظات المدينة، والوحي الذي جاء بها تهدأ رويدا، رويدا ؛ حيث أخذت البلاغة في هذا الوحي تصبح ضعيفة شاحبة، كما أخذ الموحي نفسه ينزل إلى مستوى أقل بحكم ما كان يعالجه من موضوعات ومسائل، حتى لقد صار أحياناً في مستوى النثر العادي".

فالمطعن الأول : هنا خاص بوجود الفارق الكبير بين سجع السور المكية ، وسجع السور المدنية.

والمطعن الثاني : هنا في عموم تفوق بلاغة القرآن المكي على بلاغة القرآن المدني، ووصف بلاغة القرآن المدني بأنها أصبحت شاحبة ، ونزلت إلى مستوى النثر العادي – بحسب زعمه الباطل ــ .

من المعلوم الواضح أن القرآن الكريم آية الله المبصرة، ومعجزته الباهرة تحدى الله به الإنس والجن، وقد جاءت آيات التحدي في السور المكية، والسور المدنية، ومن آيات التحدي التي جاءت في السور المدنية، وهي سورة البقرة،

وهي أول سورة نزلت في المدينة، وهي -أيضاً ــ أطول سورة في القرآن ؛ حيث قال الله ــ تعالى ــ :-

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٣ - ٢٤

فإذا كانت السورة، المدنية أقل بلاغة من السور المكية، وكذلك بلاغة السجع المدني أقل بلاغة من السجع المكي ــ كما يزعمون ــ ، فكيف يتحدى الله بالسور المدنية ، وهي أقل بلاغة، بل وصفت بلاغتها بأنها ضعيفة شاحبة، وصارت في مستوى النثر العادي، فلو كان القرآن المدني غير معجز في بلاغته ما تحداهم الله به، وهم أهل فصاحة وبيان، أما وقد تحداهم الله به ، وثبت عجزهم في السورة المكية ، والسور المدنية على حد سواء، فيثبت الإعجاز البلاغي للقرآن كله مكيا ومدنيا.

ومن السور المكية التي تحدى الله فيها الخلق آية الإسراء ، وآية يونس ، ففي آية الإسراء قوله تعالى : ــ

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء: ٨٨ .

وآية يونس : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يونس: ٣٨ ،

ومن ثم فإن القرآن جاء متحديا كافة الخلق من الإنس والجن ، مكيا كان، أم مدنيا.

والقرآن الكريم معجز في حروفه، وجمله، وآياته، وسوره، وهذه مكونات القرآن مكيا كان أم مدنيا، لا فرق بين آية وآية، وسورة وسورة في التحدي، فهو على درجة واحدة في الإعجاز والبيان، كله مستو في البلاغة والإعجاز، لأنه خرج من مشكاة واحدة، فمصدره واحد، وهذا ما حققه جمهور البلاغيين وعلماء الإعجاز، فليس من المعقول أن القرآن جاء يتحدى العرب من جنس ما برعوا فيه وبرزوا، ثم يأتي بقرآن تتفاوت فيه درجات الإعجاز ودرجات البيان قوة وضعفا بين المخاطبين في مكة، وبين المخاطبين في المدينة، ثم يتبين فيه ضعف بلاغة القرآن المدني، وبلاغة سجعه كما يدعي المستشرقون؟

والسؤال البدهي: لماذا هذا التفاوت بين بلاغة القرآن المكي وسجعه، وبين بلاغة القرآن المدني وسجعه – أيضاً ــ ؟ كما زعم هذا المستشرق، فكيف يكون التحدي إذاً؟ أيعجز الموحي لهذا القرآن أن ينزل القرآن على أعلى درجات الفصاحة والبلاغة دون تفاوت؟، وهل لحظ أعداء الإسلام في عهد نزول القرآن هذا التفاوت في درجات البلاغة والإعجاز، بين القرآن المكي، والقرآن المدني، وهم أرباب الفصاحة والبيان؟

وهل سيسكت أهل الفصاحة والبلاغة من العرب على ذلك، وقد كانوا أشد الناس عداوة للرسول الكريم، حيث ناصبوه العداء والحروب طويلا؟

فهل من المعقول أن يجدوا ضالتهم في إثبات عوج القرآن المدني، وضعف بلاغته ويخفونها؟

الإجابة المختصرة تقول: بأن الواقع الذي لا مراء فيه ولا جدال، أنهم حاولوا النيل من القرآن بكل ما أتيح لهم من وسائل، وسطر القرآن الكريم ذلك، ولم يثبت أنهم قالوا بضعف بلاغته مكيا كان، أو مدنيا.

ولكن الواقع الأشد وضوحا، أنهم شهدوا ببلاغة القرآن وإعجازه، ألم يشهد الوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث وعتبة بن ربيعة وغيرهم ببلاغة القرآن وحلاوته؟ (١).

ألم يسمعوا لهذا القرآن وهم يتوارون خجلا من أنفسهم ، حتى لا يشعر بهم أحد من إخوانهم المشركين؟

ألم يتعاهدوا على عدم المجيء لسماع القرآن من النبي الكريم وصحابته، ثم يتبادرون الواحد تلو الواحد، وكل منهم يظن أنه الذي جاء منفردا لسماع القرآن؟

ألم يتفقوا على أن ما سمعوه من قرآن لا يقول به بشر ، وقد نفوا أن يقوله كاهن ، أو شاعر ، كما سطر القرآن الكريم.

وإذا كان التاريخ لم يثبت أن فصحاء العرب وبلغاءهم عندما تحداهم القرآن ، لم يوجهوا للقرآن طعنا في ضعف بلاغته ، ولم يقولوا بتفوق القرآن المكي على القرآن المدني؛ فكيف للمستشرقين وأعوانهم أن يدعوا ذلك ؟.

والسؤال هنا: هل المستشرقون أعلى كعبا من العرب في الفصاحة والبلاغة؟، وأعلى فهما لمرامي العربية ؟

من أين لهؤلاء المستشرقين بهذه البلاغة والفصاحة التي أدركوا بها هذا الضعف في القرآن المدني، وأن السجع المدني، وصل إلى أدني بلاغة حتى وصل

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـــ١ صـــ ٢٨٨، ٢٨٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣١٤ . تحقيــق : مصطفى السقا وآخرون . الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٢ م ، وينظر : الرسالة الشافية للإمام عبد القاهر الجرجاني ــ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن صـــ١٢٤ ، ١٢٥ . تحقيــق . محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام . طبعة دار المعارف . الطبعة الرابعة ١٩٩١م .

إلى مستوى النثر العادي، مما جعلهم يقولون : ما أعظم الفارق بين السجع المكي والسجع المدني؟

والسؤال الذي يتعلق بمنهج البحث العلمي وأصوله : هل حدد المستشرقون مواطن الضعف البلاغي في القرآن المدني؟ وهل وضحوا الآيات التي ورد فيها السجع في السور المدنية التي ظهر ضعفها بلاغة؟ وهل ذكروا الأسباب التي أدت إلى تدني بلاغتها ، وضعف سجعها؟

فهل من أصول البحث العلمي إلقاء الكلام على عواهنه دون دليل؟ ، أليس من الإنصاف والموضوعية ؛ أن يأتي هؤلاء المستشرقون بالدليل على صدق ما يقولون؟ .

فأين المصداقية والحيادية والموضوعية يا من تدعونها؟

وهل يبنى البحث العلمي على الاتهامات والنيل من الخصم دون مسوغات، ودون ضوابط ومعايير يسير الباحثون عليها؟

كل هذه الأسئلة نقدمها بين يدي هؤلاء المستشرقين وأتباعهم ؛ لعلهم يخجلون من أنفسهم، ويعودون هم وأتباعهم إلى رشدهم وصوابهم، فينطقون بكلمة الحق والإنصاف يوما ما.

ونصل إلى الأسئلة الأهم : -

– هل فطن المستشرقون إلى بلاغة الفاصلة القرآنية ، وعلاقتها بالآيات التي قبلها، وسر مجيئها على هذا النحو الذي جاءت عليه ؟

– هل توصل المستشرقون إلى الأسرار البلاغية لمواطن إعجاز الفاصلة القرآنية؛ مما جعلهم يقولون : ما أعظم الفارق بين السجع في السور المكية ، وبين سجع السور المدنية؟

– ثم نسألهم أيضاً – ما أهم خصائص السجع المكي وسماته الذي تفوق بها على السجع المدني – كما تدعون وتزعمون؟

– هل أبرزتم لنا هذه الخصائص ، حتى تتجلي للقارئ عن بينة، ومن ثم يحكم من خلالها على تفوق السجع المكي بلاغة ، على السجع المدني؟

وإذا كان القرآن المكي من وجهة نظركم استوفى مقاييس الفصاحة والبلاغة وأسباب الإعجاز، وأن القرآن المدني لم يستوف هذه المقاييس؟

فالسؤال الأكثر أهمية ما الحلول من وجهة نظركم العبقرية ، يا أرباب الفصاحة والبيان ، حتى يصل السجع المدني إلى بلاغة السجع المكي؟

بالطبع لم ولن نجد إجابة سوى الخجل والجدال إن كانوا يعرفون الخجل والحياء؟ ، ولكنها الحرب ، والمكيدة ، والمطاعن ، التي ما فتئوا يخططون لها ، ويعيشون من أجل تنفيذها.

ثم نختم بهذه الأسئلة مجتمعة نوجهها إلى دعاة البلاغة والفصاحة من المستشرقين وأتباعهم:

– هل أنتم على وعي تام بصفات الله ــ عز وجل ــ الذي أنزل القرآن على قلب النبي الخاتم ؟.

– وهل أنتم على وعي تام بخصائص وميزات اللغة العربية، التى نزل بها هذا القرآن؟

– وهل كمل عقلكم، وسلم ذوقكم بهذه اللغة، حتى توصلتم إلى أسرارها، ومن ثم الوصول إلى أسرار الكتاب العزيز؟

– وهل أنتم على دراية تامة بالسياقات والمقامات، وأسباب النزول؟

– وهل أنتم على دراية ــ أيضاً ــ بمرامي ومقاصد هذا القرآن؟

– وهل تمتلكون العلوم والأدوات، التي يملكها المفسرون لآيات الكتاب العزيز؟

– فأين أدواتكم، وعلومكم التي توصلتم بها إلى أسباب تغاير المعاني، وتنوع أساليب وأداء القرآن، وتعمقتم بها في خصوصيات كل سياق، ومراعاة أحوال المخاطبين في القرآن المكي، وفي القرآن المدني؟

"ولا شك في أن تذوق جمال القرآن يختلف من شخص إلى آخر و باختلاف عقيدته ، وذوقه الفني الأدبي ، ومنشئه ، وميله.

وليس من الممكن أن يتذوق الملحد، ومن لا يرى القرآن منزلا من عند الله حلاوة القرآن، كما يتذوقها من يراه دستور الإنسانية الخالد، ولا يغيبن عن البال أن لقوة العقيدة وضعفها، أثرا كبيرا في القول بالإعجاز أو عدمه، فإن للقرآن في قلوب المؤمنين قوة قدسية ، تترك فيها حين تلاوته أثرا لا تدركه في قلوب الشاكين في أصل العقيدة الدينية ، أو المنكرين لها. (١)

والآن آن الآوان لنضع أيدي المستشرقين على بعض مواطن الإعجاز البلاغي في بعض السور المدنية، وكذلك على بلاغة فواصل بعض الآيات المدنية، التي وضعت وسط السور المكية، وكذلك نشير إلى بعض آيات مكية وضعت في سور مدنية، ولا يشعر القارئ الواعي بأسرار العربية عند قراءتها ، بأن هذه آيات مدنية وضعت في سورة مكية، وكذلك لا يشعر بأن هذه آيات مكية وضعت في سورة مدنية ؛ ليتبين للمستشرقين وأذنابهم على بصيرة ، أن هذا القرآن المعجز كله من مشكاة واحدة ، لا فرق بين بلاغة سوره المكية ، وبين بلاغة سوره المدنية، وكذلك لا فرق بين سجع الآيات المكية ، وبين سجع الآيات المدنية؛ وبذلك ينتقض بلاغة ، ما يدعيه هؤلاء المستشرقون الضالون المضلون.

---

(١) فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر د. نعيم الحمصي صـ ٤٦٢، ٤٦٣، صـ ٣٤ الطبعة الثانية ١٤٠٠ – ١٩٨٠.

بين فواصل القرآن المكي ، وفواصل القرآن المدني

ونبدأ بمطلع سورة البقرة المدنية ، ومطلع سورة لقمان المكية ، وبالنظر في مطلع السورتين الكريمتين ، نجد أن كلا منهما أفتتح بالحـــــروف المقطعة ، وهي : ﴿الٓمٓ ﴾، وهي الآية الأولى في كل منهما.

فهل يوجد فارق بين فاصلة آية البقرة المدنية، وبين فاصلة آية لقمان المكية؟

بالتأكيد لا يوجد فارق بينهما.

وإذا تأملنا نهاية الآية الرابعة في كل من السورتين ؛ نجد آية البقرة ختمت بقوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ البقرة: ٤ ، وآية لقمان المكيـــة ختمـــت بقولـــه تعالى: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ لقمان: ٤ .

والسؤال هنا نوجهه لهذا المستشرق وأعوانه : أي الفاصلتين أبلغ ، المكية ، أم المدنية؟

وإذا وصلنا إلى الآيـــة الخامســـة فـــي كـــل مـــن الســـورتين، وجـــدنا أن الآيتـــين قـــد اتحـــدتا فـــي كـــل حروفهـــا ، وهـــي قولـــه تعـــالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ ،

فالآية مكرره في كل سورة منهما ، وقد اتحدتا في كل شيء .

فما الفارق في بلاغة الآيتين؟ أليست الفاصلة واحدة؟ ، فلماذا زاغت الأبصار، وعميت القلوب إذاً ؟، ومن ثم نؤكد على أن بعض الآيات المكيـــة أســـلوبها مـــدني، وأن بعض الآيات المدنية ، أسلوبها مكي ، والأمر واضح أشد الوضوح ، كما بينا في مطلع سورة البقرة المدنية، وفي مطلع سورة لقمان المكية

وننتقل إلى بيان شدة التناسب والتلاؤم بين الآيات المكية ، وبين الآيات المدنية.

أولاً:- فواصل آيات مكية في سور مدنية.

ونبدأ بسورة البقرة التي ضمت بين أنوارها آية مكية، وهي الآيـــة رقـــم (٢٨١) "مائتان وإحدى وثمانون" ، وهي قوله تعالى:﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١ ﴾ البقرة: ٢٨١ .

وبالنظر إلى الآية المدنية التي قبلها وهي تحمل رقـــم (٢٨٠) (مائتـــان وثمانون) ، نجد ختامها قوله تعالى:﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾، وكذلك الآية التي قبلها، وهي رقم (٢٧٩) (مائتان وتسع وسبعون) ختامها ﴿لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴾، فنجد "تعلمون، "وتظلمون" عدد حروفها واحدة ، وعلى وزن واحد .

والسؤال هنا للمستشرقين وأتباعهم :أين الفارق العظيم بين فواصل الآية المدنية، وفواصل الآية المكية هنا؟

وهل يصلح بلاغيا نزع الآية المكية من هذه السورة المدنية؛ لأن المدنية أقل بلاغة من المكية؟

وهل شعر القارئ بأن هذه الآية مكية، لها مقاييسها البلاغيـــة الخاصـــة، التي تميزها من نظائرها المدنية ؛ ومن ثم يوجد فارق بينهما في البلاغة؟ بالتأكيد لم يقل بهذا سوى من عميت قلوبهم.

ومن السور المدنية التي ضمت بين أنوارها آيات مكية : سورة الأنفال فقد ذكر الزركشي في البرهان أن قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣ ﴾ الأنفال: ٣٣. مكية (١)

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي حـــ ١ صـــ ٢٠٢ تحقيق محمد أبو الفضل إبـــراهيم دار التراث بالقاهرة.

وإذا نظرنا إلى الآية المدنية التي بعدها ، نجد أن (الواو والنون) في نهاية كل كلمة ، ففي الآية رقم (٣٤) نجد خاتمتها قوله تعالى : "لا يعلمون"، وما بعدها ٣٥ (تكفرون) ، وما بعدها (٣٦) "يحشرون" .

ونكرر السؤال للمستشرقين: أين الفارق العظيم بين السجع المكي، والمدني هنا؟

ومن السورة المدنية التي ضمت بين أنوارها آيات مكية : سورة الحج"

وهي الآيات رقم ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، فالآية المكية الأولي هنا رقم "٥٢"، فاصلتها : "حكيم" ، وفاصلة الآية المدنية قبلها رقم "٥١" :" الجحيم" ، وفاصلة الآية "٥٣" "بعيد"، وفاصلة الآية "٥٤: "مستقيم"، والآية المكية الأخيرة هنا رقم "٥٥" فاصلتها : "عقيم".

وأما الآية المدنية بعدها رقم "٥٦" ففاصلتها "النعيم".

والسؤال أين هو الفارق العظيم بين فواصل الآية المدنية، والآيات المكية هنا وهي : الجحيم – حكيم – بعيد – مستقيم – عقيم – النعيم – فلم تخرج كلها عن وزن "فعيل"، ماعدا: مستقيم وهي قريبة من عقيم.

وكذلك من السور المدنية التي ضمت بين أنوارها آية مكية : سورة "محمد"، فجاءت الآية رقم "١٣" مكية، وجاءت خاتمتها قوله -تعالى- : ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾محمد: ١٣ ، وأما الآية المدنية قبلها (١٢) فجاءت خاتمتها قوله تعالى : ﴿مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾محمد: ١٢، وجاءت خاتمة الآية المدنية التي بعدها (١٤) قوله تعالى: ﴿أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾﴾محمد: ١٤ ، فهل يرى القارئ كبير فرق بين فواصل هذه الآيات ؟ ، وهل شعر القارئ أن وسط هذه الآيات المدنية ، آية مكية ؟ ، فكيف حكم هذا المستشرق بالفارق البلاغي ، بين القرآن المكي ، والقرآن المدني؟

ثانيا : فواصل آيات مدنية في سور مكية

سورة الأنعام من السور المكية ، التي ضمنت بين أنوارها آيات مدنية ، ولقد لفت نظري بشدة ما حوته آيات الوصايا في بدايتها من آيات مدنية، وذلك في الآيات: "مائة وإحدى وخمسون"، (١٥١)، "ومائة واثنان وخمسون" (١٥٢)، "ومائة وثلاثة وخمسون" (١٥٣) فآيات فالوصايا تجمعها مقصد واحد، وقد بدأها الله عز وجل بقوله :﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) ﴾ الأنعام: ١٥١

فإذا ما نظرنا إلى الآيات المكية قبلها ، وجدنا فاصلة الآية رقم (١٥٠) "يعدلون"، والآية المدنية الأولى (١٥١) فاصلتها : "تعقلون"، والآية المدنية الثانية (١٥٢) فاصلتها : "تذكرون" ، والآية المدنية الثالثة (١٥٣) "تتقون".

وكذلك نجد الآيات المكية بعدها في الآية رقم (١٥٤) فاصلتها : "يؤمنون"، والآية المكية التي بعدها (١٥٥، فاصلتها: "ترحمون".

والسؤال هنا: على أي أساس قال المستشرق: ما أعظم الفارق بين سجع السور المكية، وبين سجع السور المدنية؟

فأي فرق بين –"يعدلون"، وبين "تعقلون"، وبين "تذكرون"، وبين "تتقون"، وبين "يؤمنون"، وبين " ترحمون".

ثم هل شعر القارئ بأن هذه الوصايا ، جمعت بين آيات مكية ، وآيات مدنية؟ وهل يجوز بلاغة حذف هذه الآيات المدنية ، من هذه السورة المكية ، ووضعها في سورة مكية أخرى؟

لا يقال هذا إلا عن طريق العبث ، من قبل أعداء هذا القرآن ، بحجة أن القرآن في حاجة إلى إعادة قراءة، وإلى إعادة ترتيب ــ كما يدعون ــ[1] .

ونضرب مثالا آخر في سورة الحجر المكية، وقد ضمت بين أنوارها آية مدنية وهي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الحجر: ٨٧

وإذا تأملنا الآية التي قبلها، وهي قول تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ الحجر: ٨٦ ، نجد عدم وجود فارق بين الفاصلتين، بين العليم ، وبين العظيم"، وهل يشعر القارئ هنا – أيضاً – بوجود أية مدنية ، وسط سورة مكية؟

وكذلك سورة الأعراف المكية التي ضمت بين أنوارها آيات مدنية من الآية رقم " ١٦٣" إلى الآية "١٧٠".

وعند النظر في ختام الآية المكية التي سبقت الآيات المدنية هنا ، وهي رقم ١٦٢ نجد خاتمتها قوله تعالى : ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٦٢ ، وأما ختام الآية المدنية بعدها وهي رقم ١٦٣ – فإن خاتمتها قوله تعالى : ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٦٣، فنلحظ أن عدد الحروف في قوله تعالى : "يظلمون" ، وفي قوله تعالى : "يفسقون" واحد ، وكلاهما على وزن "يفعلون".

فأي فارق إذاً بين ختام الآية المدنية ، وبين ختام الآية المكية هنا؟

---

(١) ينظر كتاب : إعادة قراءة القرآن ــ تأليف جاك بيرك ــ تعليق وردود د/محمد رجب البيومي ــ طبعة دار الهلال.

والواقع الذي لا محيص عنه : إن التناسب والتلاؤم بين الآيات المكية ، وبين الآيات المدنية شديد الوضوح، بحيث لا يمكن نزع آية من موقعها ؛ لأن نزعها من مكانها يذهب بشعاع أنوارها، كما يذهب بتمام معانيها، وكيف لا؟ والقرآن كله نزل من مصدر واحد، من لدن حكيم خبير.

وكذلك من السور المكية ، التي ضمت بين أنوارها آيات مدنية : سورة مريم،

فجاءت الآيات المدنية في الآية الثامنة والخمسون (٥٨)، وكذلك الآية إحدى وسبعون. وبالنظر في الآية الثامنة والخمسون، نجد فاصلتها ﴿وَبُكِيًّا﴾، والآية المكية قبلها (٥٧) فاصلتها ﴿عَلِيًّا﴾، وأما الآية التي بعدها "٥٩" ففاصلتها ﴿غَيًّا﴾. فأي فارق بين ﴿وَبُكِيًّا﴾ ، وبين ﴿عَلِيًّا﴾، وبين ﴿غَيًّا﴾؟.

وأما الآية رقم ٧١ "فجاءت خاتمتها : ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ طه: ٧١ ، وبالنظر في الآية (٧٣) بعدها نجد أن خاتمتها:﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾﴾ طه: ٧٣ ، فما الفارق بينهما ؟.

ومن السور المكية التي ضمت بين أنوارها آيات مدنية ، سورة : "القمر"

والآيات المدنية هي رقم (٤٤)، (٤٥) ، (٤٦) ،والواضح الجلي في سورة القمر أنها التزمت حرف الراء في خواتيم آياتها ، وجاءت الآيات المدنية كذلك ، مثل نظائرها المكية، فالآية المدنية رقم (٤٤) خاتمتها : "منتصر"، والآية المكية التي قبلها ، رقم (٤٣) خاتمتها : "مقتدر"، فأين الفارق بين الفاصلتين هنا؟، وهل أحس القارئ بوجود آيات مدنية وسط آيات مكية؟

ومن السورة المكية التي ضمت بين أنوارها آيات مدنية سورة الجاثية ،

حيث جاء الآية الرابعة عشر (١٤) مدنية في وسط هذه السورة المكية ، وخاتمة هذه الآية المدنية "يكسبون"، وخاتمة الآية المكية التي قبلها (١٣): "يتفكرون"، وأما خاتمة الآية التي بعد الآية المدنية وهي ، رقم (١٥) ، فخاتمتها

"ترجعون" ، وكل فاصلة في هذه الآيات جاءت لتمكين المعني المسوق إليه الكلام، فالصلة وثيقة بين كل فاصلة ، وبين الآية التي وجدت فيها.

وهنا نكرر **السؤال** على المستشرقين، الذين طعنوا في بلاغة القرآن المدني عن جهل فاضح، وحقد دفين، نقول لهم ولمن سايرهم: أين الفارق بين الفواصل الثلاث: "يتفكرون" المكية، و"يكسبون" المدنية، وبين "ترجعون" المكية – أيضاً ــ ؟

وهل يصح نزع هذه الآية المدنية ، ويستقيم معنى الآيات قبلها وبعدها؟ بحجة أنها مدنية ضعفت بلاغتها، ولم ترق إلى درجة بلاغة القرآن المكي ، ومن ثم لا حاجة لها.

الجواب : هذا ضرب من العبث.

ونقول لهؤلاء المستشرقين ما قاله ابن عطية : "وكتاب الله لو نزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد، ونحن تَبينُ لنا البراعة في أكثره ، ويخفى علينا وجهها في مواضع ، لقصور عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق، وجودة القريحة، وميز الكلام"(١).

أضواء بلاغية علي سورة الزلزلة المدنية

ليس المقصود هنا هو دراسة هذه السورة المدنية، دراسة بلاغية تحليلية، ولكن الغرض هو الإشارة إلى بعض الملامح البلاغية، التي تشترك فيها هذه السورة المدنية، مع نظائرها من السورة المكية، حتى ننقض ونبطل ما قاله المستشرقون من تدني بلاغة السور المدنية، وكذلك إبطال قولهم: ما أعظم الفارق بين سجع السور المكية، وبين سجع السور المدنية.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الغرناطي حـ ٧٢ تحقيق الأستاذ أحمد صادق الملاح طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م.

وقد قلنا بأنهم لم يضعوا مقاييس يحكمون من خلالها على ما يقولون، وأنهم لم يذكروا سوارا بعينها، ولم يحددوا الآيات التي بنوا عليها حجتهم، بأنها أقل بلاغة من القرآن المكي .

وسورة الزلزلة من السور المدنية التي أفتتحت بالشرط، وقد ذكر ذلك صاحب البرهان، وكذلك صاحب الإتقان[1]، وعلى القول بأن ما أفتتحت به هذه السورة من الجملة الشرطية، فإن بلاغتها عير خافية على أهل البلاغة .

وقد افتتح الله عز وجل كثيرا من السور بهذا التعبير ، فمن السور المدنية سورة المنافقون: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ المنافقون: ١ .

وكذلك سورة النصر في قوله- تعالى- :﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ النصر: ١ .

وأما السور المكية التي افتتحها الله عز وجل بهذا الأسلوب، فهي سورة الواقعة في قوله ــ تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾﴾ الواقعة: ١ .

وكذلك سورة التكوير في قوله تعالى : ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾ التكوير: ١ ، وكذلك سورة الانفطار في قوله ــ تعالى ــ : ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾ الانفطار: ١ ، وأخيراً سورة الانشقاق في قوله تعالى :﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾ الانشقاق: ١ .

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا : هل يوجد خلاف أو فارق بين بلاغة الجملة الشرطية في السور المكية، وبين وجودها في السور المدنية؟

---

(١) البرهان للزركشي جـ١ ص١٨٠ ، الإتقان للسيوطي جـ٣ صـ٣١٧ ــ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . مطبعة المشهد الحسيني . القاهرة ، وفتح القدير للشوكاني جـ٥صـ٦٢٤ . تحقيق : هاني الحاج . المكتبة التوفيقية بالقاهرة .

وإذا كان الله ــ عز وجل ــ في قوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ الزلزلة: ١.

قد جاء بالفعل الماضي"زُلزلت" على هذه الصيغة، وهي بناء الفعل على ما لم يسم فاعله ؛ فإن هذه الصياغة جاءت في سور مكية كثيرة مثل: الواقعة ، والمدثر، والمرسلات ، والتكوير، والانفطار والانشقاق ، مثل قوله تعالى : ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ ﴾ الواقعة: ٤ .

وقوله: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ ﴾ الحاقة: ١٣، وقوله ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ ﴾ المدثر: ٨ . وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ ﴾ المرسلات: ٨ – ١١.

﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ ﴾ التكوير: ٣ – ٨ ، وكذلك الآيات ١٠ – ١٣. وكذلك الآيات من سورة الانفطار: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ ﴾ الانفطار: ٣ – ٤.

ومن خلال هذه الآيات السابقة التي وردت في سور مكية ، نجد أن القرآن بهذه الصياغة ، في هذه السياقات "يصرف الحدث عمدا عن محدثه، فلا يسنده إليه، لإفادة الاهتمام بالحدث، بصرف النظر عن محدثه، ومجيء الفعل ماضيا، تقرير ؛ لأنه حادث فعلا ، وقد صدر بـ إذا، فصرفته إلى المستقبل ، دون أن يفقد التعبير أثره الذي يوحي به استعمال الماضي ، بدلا من المستقبل الصريح، على أن المباغتة في "إذا" لها أثرها البياني في هذا الموقف، وهذه ــ أيضاً ــ ظاهرة أسلوبية تسيطر على الحديث عن اليوم الآخر الذي يأتي بغتة... لأن سر البيان

وراء كل هذا ، ولأن مناط القوة في التعبير ، هو بغتة المفاجأة، وتأكيد الحـــدث ، وصرف الذهن إليه. (١)

فهل يوجد فرق بين بلاغة هذا التعبير القرآني في السور المكية ، وبين وجود هذا التعبير في السور المدنية؟، فقد اشتركت هذه السورة المدنية ، مع نظائرها من السور المكية في تصوير مشاهد القيامة ، وهذه السورة تصور مشهدا من مشاهد القيامة حين الزلزلة، وكذلك عندما تخرج الأرض أثقالها ، وحين تحدث الأرض أخبارها بوحي وأمر من ربها ، وحين يتعجب الإنسان من أحوالها.

ونلحظ التكرار في كلمة الأرض، وكذلك تكرار الفاصلة في الضمير العائد على الأرض في قوله تعالى: "زلزالها"، وقوله: "أثقالها" ، وقوله: "مالها"، وقوله: "أخبارها"، وقوله :"أوحى لها".

"والتكرار" مألوف في مواقف الإطناب والإطالة، لكنه حين يأتي في مواقف الإيجاز الحاسمة، يكون لافتا ومثيرا، ففي سورة الزلزلة على إيجازها وقصر آياتها؛ نجد التكرار في ثمانية مواضع. وهذه ظاهرة أسلوبية في القرآن الكريم، يعمد فيها إلى التكرار مع الإيجاز والقصر، ترسيما وتقريرا وإقناعا، والدراسة النفسية قد انتهت بعد طول التجارب، إلى أن مثل هذا الأسلوب هو أقوى أساليب الترسيخ والإقناع، وأشدها إيحاء بالحسم والجد.

والألفاظ المختارة لموقف القيامة بالغة الإثارة، قوية الوقع، إما بعنفها كالزلزلة، والرج، والدك، والنسف، والرجف، والمور، والصيحة، والانشقاق، والطامة، والغاشية، والواقعة، والبعثرة، والانتشار.

---

(١) التفسير البياني للقرآن . د. عائشة عبد الرحمن حـ ١ صـــ ٨٢ – ٨٣ دار المعــارف ، الطبعة السادسة : بتصرف.

وإما بدقتها: كمثقال الذرة، والهباء المنبث، والعهن المنفوش، والفراش المبثوث، والسراب ، والدخان..... (١)

وما قالته بنت الشاطئ في هذا السياق ، لا تكمن بلاغته في السور المكية ، دون نظائرها في السور المدنية.

فكيف يكال بمكيالين، والبلاغة واضحة أشد الوضوح، لا تخفى لذي عينين؟، ولماذا التفريق في شيء شديد الوضوح؟

وليس هنا إجابة عن هذا السؤال وغيره، سوى التأكيد على الحقد الأسود الدفين ، من أجل النيل من دستور السماء!

بين الفواصل المكية والفواصل المدنية

تكرار الفواصل بين سورة الرحمن المدنية ، والمرسلات والقمر المكيتين .

وإذا كنا قد تحدثنا عن بلاغة التكرار في سورة الزلزلة ؛ فإن التكرار في القرآن الكريم لا يخلو من أسرار ، ولنضرب مثالا للتكرار البيِّن ، واللافت للنظر في سورة الرحمن المدنية، وكذلك في سورة المرسلات والقمر المكيتين، وهو تكرار لآيات كاملة ، وهو تكرار ــ أيضاً ــ للفواصل، ولا يخفى التكرار في سورة الرحمن في قوله تعالى : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ، فقد تكررت هذه الآية في الآيات رقم: ١٣، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٢، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٧.

مجموع الآيات إحدى وثلاثون آية ، (٣١).

---

(١) السابق صـــ ٧٩، ٨٠.

وقد سبق هذه الآيات تكرار لكلمة الميزان ثلاث مرات ، في الآيات رقم ٧، ٨، ٩ ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ ﴾ الرحمن: ٧ – ٩ .

أما التكرار البين في سورة المرسلات ، فقد تكرر قوله– تعالى:﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ في الآيات رقم: ١٥، ١٩، ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧ ،٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩ ، وقد بلغت الآيات المكررة عشر آيات .

ولا يخفى – أيضاً – تكرار آيات بعينها في سورة القمر في الآيات ١٦، ١٨، ٢١، ٣٠، ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾.

وقد تكرر قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ في الآيات رقم ١٦، ١٨، ٢١، ٣٠، وتكرر قوله ــ تعالى ـ﴿ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ في الآيات رقم: ٣٧، ٣٩.

وأما قوله ــ تعالى ــ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٣٢ ﴾ . فقد تكرر في الآيات رقم: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠. ، وجاء قوله: "فهل من مدكر" جزءا من الآية رقم ١٥ ، ويكون بذلك قوله تعالى: "فهل من مدكر" ورد في خمس آيات هي ١٥، ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠ ، والبحث هنا ليس معنيا بتحليل الآيات التي ورد فيها التكرار ، وبيان ما فيها من أسرار بلاغية ، فهذا يخرج عن طبيعة البحث وهدفه، **ولكن كما قال أستاذنا عبد العظيم المطعني** : "علينا أن ندرك شدة اقتضاء المقام لهذا التكرار، فليست إحدى العبارات في موضع ، بمغنية عن أختها في الموضع الآخر، إنما هو اتساق عجيب تطلبه المقام من الناحيتين الدينية والأدبية ، وهنا لابد أن نقرر حقيقة مهمة هي أن الإشارة بجمال التكرار لم يقتصر على العلماء العرب؛ بل إن كثيرا من المستشرقين قد شهدوا بذلك ، ومع هذا الحق الذي يشهد به الأصدقاء والأعداء ، فإننا نستنطق القرآن نفسه، وهو خير وأعدل شاهد [١] .

---

(١) حقائق الإسلام من مواجهة شبهات المشككين صـ ٨٣ – ٩١ بتصرف – المجلس الأعلي للشئون الإسلامية – الطبعة الثالثة – ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

وهذا المستشرق "جوستاف لويون" الذي يقرر بأن التكرار يحول المكرر إلى معتقد فيقول: "إن التوكيد والتكرار عاملان قويان في تكوين الآراء وانتشارها، وإليهما تستند في كثير من المسائل، وبهما يستعين رجال السياسة والزعماء كل يوم في خطبهم، ولا يحتاج التوكيد إلى دليل عقلي يدعمه، وإنما يقتضي أن يكون وجيزا، ذا وقع في النفس، والتكرار هو تنمية التوكيد الضرورية، ومن يكرر لفظا، أو فكرا ، أو صيغة تكرار متتابعا ، فإنه يحوله إلى معتقد[١] .

وما يقال عن بلاغة تكرار الفواصل في الآيات المدنية على حد سواء؛ "لأن نظم القرآن لا يتفاوت في شيء، ولا يتباين في أمر، ولا يختل في حال، بل له المثل الأعلى ، والفضل الأسنى"

وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه علي حد واحد، في حسن النظم، وبديع التأليف والرصف، لا تفاوت فيه، ولا انحطاط عن المنزلة العليا، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا[٢]فالقرآن جمعيه متحدى به سواء كان مكيا، أو مدنيا، وكله نزل من مشكاة واحدة ؛ فمتى يستوعب المستشرقون بلاغة القرآن ؟ حتى يتكلموا عن علم ودراية في شأن هذا القرآن.

وقد أعجبني ما قاله الشيخ محمد الغزالي ردا على "جولد زيهر" : "وكلام هذا المستشرق "عن القيمة البلاغية لسور القرآن ، مثل كلام الريفي عن شئون الذَّرَّة، أي لا شيء فيه غير الجهل والدعوى، فإذا انضم إلى هذا الجهل حقد مشبوب، جاء هذا الحكم ساقطا عن كل اعتبار"[٣].

---

(١) المستشرقون والإسلام زكريا هاشم زكريا صـ١٨٤ بتصرف ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ـ ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م .

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني صـ ٢٠٠، ٣٧ تحقيق السيد صقر دار المعارف – الطبعة الرابعة.

(٣) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين صـ ٢٧ – ٢٨ الشيخ محمد الغزالي – طبعة دار نهضة مصر الطبعة الثالثة عشرة ٢٠١٤.

وهذا توصيف دقيق لكل المستشرقين الذين يتطاولون على بلاغة القرآن ، وإعجازه ، ويدعون فقههما.

وبهذا ، أرجو أن أكون قد أمطت اللثام عن بعض المطاعن التي وجهها المستشرقون ، حول السجع في القرآن الكريم .

وبالله التوفيق والسداد

الخاتمـــة

– أكد البحث على أن الطعون التي وجهت إلى القرآن قديما وحديثا؛ هي دليل على قداسة القرآن ، وعلى صحة الإعجاز القرآني ، وهي دليل الحفظ له .

– كما يؤكد البحث على أن كثيرا من المستشرقين يتعاملون مع القرآن على أنه منتج بشري ، وأنه كتاب أدبي ، يخضع لمقاييس النقد البشري .

– نقض البحث بعض مطاعن المستشرقين حول السجع في القرآن الكريم، وأول هذه المطاعن التي نقضها البحث هو: كون السجع في القرآن الكريم من جنس سجع الكهان .

– أبطل البحث كلام المستشرق كارل بروكلمان : "والسجع هو القالب الذي كان يصوغ العرافون والكهنة فيه كلامهم وأقوالهم ، كما جاء في القرآن".

وبعد أن عرفنا السجع عند الغربيين، وتبين لنا أنه لا علاقة لهذا المصطلح عندهم بسجع الكهان، وذكرنا السجع في المعاجم العربية، ثم ختمنا الحديث عنه في مصطلح البلاغيين ؛ تبين لنا بالدليل القاطع ، والبرهان الساطع ، أن ما قاله "كارل بروكلمان" غير صحيح ومجاف للحقيقة تماما، وأن تحديده لمصطلح السجع وقصره على كلام العرافين والكهنة ، هو محض كذب وافتراء، ويحمل في طياته سموما ، وأفكارا هدامة مفادها: أنه لا سجع إلا سجع الكهان، وأن السجع الموجود في القرآن هو من جنس سجع الكهان

كل ذلك له غرض خسيس ، وهو النيل والطعن في إعجاز القرآن، وإحداث البلبلة والشك في نفوس المسلمين نحو كتابهم المعجز الخالد.

– وضح البحث أن سجع الكهان مرتهن بوظيفة الكهانة والعرافين ، يقصده الكهان قصدا لذاته ، وأن التزام السجع كان في كل أقوالهم ، من أوله إلى

آخره ، لا ينفك عنهم ، عُرفوا به ، وعُرف بهم ، وليس هكذا كلام العرب ؛ لأن العرب لم تلتزم السجع في أقوالهم ، كما التزم الكهان السجع في كل أقوالهم، بل إن بعض خطب الجاهليين امتزجت بالشعر، كما إن كثيرا من أمثالهم خلت من السجع، وكذلك بعض حكمهم ووصاياهم ، وقد دللنا على ذلك بذكر نماذج من واقع تراثهم .

– وأكد البحث على أن السجع في نثر الجاهليين لم يقتصر على سجع الكهان، واستدل بما قاله د.ج هيوارث على أن : "النثر العربي في الجاهلية دائر بين السجع ، والازدواج، والترسل ، أو المنثور المرسل، وقد جاء القرآن الكريم على هذه الأنواع الثلاثة".

وهذا رد مفحم على "بروكلمان" الذي قصر السجع على سجع الكهان ، وكذلك دليل قاطع على خلو القرآن من سجع الكهان كما زعم بروكلمان .

– أبطل البحث المطعن الذي وجه إلى القرآن بأنه كتب كله مسجوعا من أوله إلى آخره . ولقد قيض الله لكتابه الكريم من أعداء الإسلام من يدفع عنه مطاعن قد رُمي بها ؛ فهذا هو المستشرق "ديفين ستيوارت" يرد على المستشرق الألماني "باريت" ويصفه بالجرأة ، وعدم الكياسة، كما وصفه بالتحيز والهوى إلى أقصى مدى.

وقد أتى بالأدلة الساطعة على أن القرآن الكريم ليس كله مسجوعا من أوله إلى آخره ، وذلك عن طريق الإحصاء.

وهذا نص كلام المستشرق "ديفين سيتوارت وهو يرد على المستشرق "باريت" : "ويقرر "باريت" Baret في غير كياسة أن القرآن كتب مسجوعا من أوله إلى آخره.

ويقول: إن مقولة " باريت" تذهب في خضوعها للتحيز والهوى إلى أقصى مدى، ثم يستطرد قائلاً: إن محاولة البحث في مشكلة السجع في القرآن ، وتحديد ماهية هذا السجع نفسه تقتضي ألا نفرض على مادة البحث تقاليد سابقة .

إن ما ذهب إليه المستشرق " ديفين ستيورات" خير رد عملي على المستشرق "باريت" ومن وافقه الرأي في أن القرآن كله مسجوع من أوله إلى آخره.

فقوله: تشير النتائج إلى أن القرآن الكريم يضم قدرا كبيرا من السجع " ، فيه دلالة قاطعة على خلو بعضه من السجع، ومن ثم تبطل مقولة المستشرقين ، بأن القرآن كله مسجوع ، وقد نص على أن النسبة المئوية التقريبية هي ٨٥.٩ % هي جملة الآيات المسجوعة في القرآن، وأن سورتين من سورة القرآن قد خلتا تماما من السجع ، وهما سورة "قريش"، وسورة "النصر"، وهذا دليل عملي آخر يؤكد على خلو بعض سور القرآن من السجع تماما.

– نقض البحث بلاغيا قضية التزام السجع ، من خلال كلام البلاغيين .

وقد ثبت بالأدلة القاطعة أن البلاغة العالية تأبى مجيء الكلام ملتزما السجع من أوله إلى آخره ، ومن ثم يبطل مطعن من قال : إن القرآن كله مسجوع من أوله إلى آخره .

– أبطل البحث مطعن التفاوت البلاغي بين سجع السور المكية ، وبين سجع السور المدنية ، وأثبت البحث ذلك من خلال مطلع سورة البقرة المدنية ، ومطلع سورة لقمان المكية ، كما دلل البحث على بطلان مطعن التفاوت البلاغي من خلال وجود آيات مكية في وسط سور مدنية ، وكذلك وجود آيات مدنية في وسط سور مكية .

– ووضح شدة التلاؤم والتناسب بين هذه الآيات ، بحيث لا يصح بلاغيا نزع الآية المدنية من وسط السور المكية، وكذلك لا يصح نزع آية مكية من وسط سورة مدنية، وذلك أبلغ رد على مطعن تدني بلاغة القرآن المدني ــ كما يزعمون–.

– دلل البحث على عدم وجود فارق بين فواصل السور المكية، وفواصل السور المدنية، من خلال ظاهرة تكرار الفواصل في السور المدنية، مثل : سورة "الرحمن"، وتكرار الفواصل في السور المكية، مثل: سورتي "القمر"، و"المرسلات".

وأخيرا يوصي البحث بالاهتمام بقضايا الاستشراق ، ودراستها دراسة وافية ، والرد عليها من خلال مؤسسات حكومية ، بإشراف ورعاية الأزهر الشريف، ثم القيام بترجمة هذه الأعمال إلى اللغات الأخرى ؛ حتى تكون الفائدة أتم وأكمل .

والحمد لله رب العالمين .

المصادر والمراجع

١- الإتقان للسيوطي . تحقيق محمد أبو الفضل إبـراهيم . مطبعـة المشـهد الحسيني . القاهرة .

٢- الأدب الجاهلي د غازي طليمات والأستاذ عرفان الأشقر . الطبعـة الأولـى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

٣- الأدب العربي وتاريخه في العصر الجـاهلي – للـدكتور. ج هيـوارث دن .مكتبة الثقافة العربية .

٤- أراء المستشرقين ومواقفهم من القرأن د. محمد أبو ليلة . شبكة المعلومات الأنترنت – تاريخ النشر ٢٠١٥/١/١١ – ٢٠ ربيع الأول ١٤٣٦.

٥- الأطول للعصام . المطبعة العامرية ١٢٨٤هـ .

٦- إعادة قراءة القرآن ـ تأليف جاك بيرك ـ تعليق وردود د/محمـد رجـب البيومي ـ طبعة دار الهلال

٧- إعجاز القرآن ـ الفواصل د. حسين نصار .مكتبة مصر بالفجالة . الطبعة الأولى . ١٩٩٩م .

٨- إعجاز القران للباقلاني تحقيق السيد أحمد صقر . الطبعـة الرابعـة – دار المعارف القاهرة .

٩- البرهان في علوم القرآن للزركشي . تحقيق محمد أبو الفضل إبـراهيم دار التراث بالقاهرة.

١٠- البرهان في وجوه البيان لأبي الحسين إسحاق بن وهب . تحقيق د. حفنـي شرف مطبعة الرسالة.

١١- البيان القرآني د. محمد رجب البيومي . سلسلة البحوث الإسلامية ١٣٩١-١٩٧١

١٢- البيان والتبيين للجاحظ ــ تحقيق عبد السلام هارون . مكتبة ابن سينا بالقاهرة طبعة ٢٠١٠.
١٣- تاريخ آداب العربية للرافعي. طبعة دار الكتاب العربي ــ الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ ــ ١٩٧٤ م .
١٤- تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي –د. شوقي ضيف . دار المعارف- الطبعة الخامسة والثلاثون ٢٠١٤.
١٥- تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان . ترجمة د. عبد الحليم النجار ، الطبعة الثالثة، دار المعارف بالقاهرة. ١٩٧٤ م .
١٦- تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي – تأليف – ايجناس جولد تسيهر ترجمة : محمد يوسف موسى وآخرون . الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٤.
١٧- التفسير البياني للقرآن . د. عائشة عبد الرحمن . دار المعارف الطبعة السادسة .
١٨- جمهرة خطب العرب . الطبعة الثانية ١٣٨١ هـ ــ ١٩٦٢ م .
١٩- جمهرة رسائل العرب د. أحمد زكي صفوت زكي . المكتبة العلمية بيروت.
٢٠- حضارة الإسلام – جوستاف فون جرونيباوم . ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد – مراجعة – عبد الحميد العبادى طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠١٤.
٢١- حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – الطبعة الثالثة – ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
٢٢- الخطابة في صدر الإسلام د محمد طاهر درويش. دار المعارف طبعة ١٩٦٥ .
٢٣- دفاع عن البلاغة أحمد حسن الزيات . مطبعة الرسالة ١٩٤٥ م .

٢٤- دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين . الشيخ محمد الغزالي – طبعة دار نهضة مصر الطبعة الثالثة عشرة ٢٠١٤.

٢٥- الرسالة الشافية للإمام عبد القاهر الجرجاني ــ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن . تحقيق . محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام . طبعة دار المعارف . الطبعة الرابعة ١٩٩١م .

٢٦- السجع في القرآن ديفين ستيوارت . ترجمة وتعليق د. إبراهيم عوض. شركة الأهرام للدعاية والنشر . الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ ــ ١٩٩٥ ،

٢٧- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي . دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٢ – ١٩٨٢م.

٢٨- السيرة النبوية لابن هشام . تحقيق : مصطفى السقا وآخرون . الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٢ م ،

٢٩- شروح التلخيص– دار الإرشاد الإسلامي – بيروت .

٣٠- الصبغ البديعي ــ د. أحمد موسي . دار الكتاب العربي بالقاهرة ــ ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٩م .

٣١- العقيدة والشريعة في الإسلام ، تأليف ايجناس جولد زيهر ، ترجمة : محمود يوسف موسى وآخرون ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣٢- فتح القدير للشوكاني . تحقيق : هاني الحاج . المكتبة التوفيقية بالقاهرة

٣٣- فصول مجلة النقد الأدبي – الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الثاني عشر – العدد الثالث ١٩٩٣.

٣٤- فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر د. نعيم الحمصي . الطبعة الثانية ١٤٠٠ – ١٩٨٠.

٣٥- الفن ومذاهبه في النثر العربي د. شوقي ضيف –الطبعة الثامنة دار المعارف سنة ١٩٧٧.

٣٦- في تاريخ الأدب الجاهلي. د. علي الجندي . بتصرف دار الفكر العربي القاهرة .
٣٧- القاموس المحيط للفيروزآبادى ــ تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة . بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي . الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان .الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
٣٨- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري . تحقيق : عادل محمد البجاوي ــ محمد أبو الفضل إبراهيم . ط. المكتبة العصرية بيروت ١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٦ م .
٣٩- لسان العرب لابن منظور . الناشر: دار المعارف . القاهرة .
٤٠- مجمع الأمثال للميداني . تحقيق أحمد علي حسن، طارق الأشهب مكتبة الآداب القاهرة الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ -٢٠١٢.
٤١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الغرناطي . تحقيق الأستاذ أحمد صادق الملاح ــ طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.
٤٢- المستشرقون والإسلام زكريا هاشم زكريا ــ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ــ ١٣٨٥ هـ ــ ١٩٦٥ م .
٤٣- المطول لسعد الدين التفتازاني. مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ .
٤٤- المعجزات الأحمدية.تأليف بديع الزمان سعيد النورسي . ترجمة إحسان قاسم الصالحي .مطبعة سوزلر للنشر بالقاهرة الطبعة الثانية ٢٠٠٩م.
٤٥- المعجزة الكبري للشيخ أبو زهرة . دار الفكر العربي بالقاهرة ١٤٣٠ هـ سنة ٢٠٠٩م
٤٦- مقاييس اللغة لابن فارس . المحقق: عبد السلام محمد هارون .الناشر: دار الفكر.عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٧- منهاج البلغاء لحازم القرطاجني ــ تقديم : محمد الحبيب ابــن الخوجــة ــ الطبعة الثانية ــ دار الغرب الإسلامي . بيروت ــ ١٩٨١ م .

٤٨- موسوعة المستشرقين/ د. عبد الرحمن بــدوى – دار العلــم للملايــين – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٩٩٣.

٤٩- موقف المستشرقين من لغة القرآن . العدد ٢٤٢ محرم ١٤٢٠هــ – مايو ١٩٩٩ – موقع islam a u manoc.

٥٠- النبأ العظيم للدكتور/ محمد عبد الله دراز ــ دار القلم للنشر الطبعة الثامنة ١٤١٦هــ – ١٩٩٦.

٥١- النثر الفني في القرن الرابع لزكي مبارك . ط. الهيئة المصــرية العامــة للكتاب ٢٠١٠م .

٥٢- النكت للرماني ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. تحقيق محمــد خلــف الله- د. محمد زغلول سلام/ دار المعارف الطبعة الرابعة.

٥٣- نهاية الأرب في فنون الأدب – تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهــاب النويري . نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	المقدمة	٤٦٤٥
٢	المبحث الأول : النقض البلاغي لكون السجع في القرآن من جنس سجع الكهان	٤٦٤٩
٣	أولاً: تعريف السجع عند علماء الغرب	٤٦٥٢
٤	ثانياً: تعريف السجع في لغة العرب	٤٦٥٣
٥	ثالثاً: مصطلح السجع عند البلاغيين	٤٦٥٦
٦	إطلالة على سجع الكهان:	٤٦٥٧
٧	نماذج من سجع الكهان	٤٦٦٠
٨	الخطابة والشعر	٤٦٦٤
٩	خصائص سجع الكهان	٤٦٦٨
١٠	نماذج من الرسائل في العصر الجاهلي	٤٦٧٥
١١	المبحث الثاني : النقض البلاغي لمطعن كون القرآن كله مسجوعا من أوله إلى آخره	٤٦٧٧
١٢	النقض البلاغي لالتزام السجع	٤٦٨٥
١٣	المبحث الثالث : النقض البلاغي لمطعن التفاوت البلاغي لسجع السور المكية ، وسجع السور المدنية	٤٦٨٩
١٤	بين فواصل القرآن المكي ، وفواصل القرآن المدني	٤٧٠١
١٥	أولاً:- فواصل آيات مكية في سور مدنية.	٤٧٠٢
١٦	ثانيا : فواصل آيات مدنية في سور مكية	٤٧٠٤
١٧	الخاتمة	٤٧١٥
١٨	فهرس المصادر والمراجع	٤٧١٩
١٩	فهرس الموضوعات	٤٧٢٤

تم بحمد الله